مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (١)، ص ص ٤٠٥-٤٥٦، (محرم ١٤٤٢ هـ/ أغسطس ٢٠٢٠)

صورة الإفرنج الإسبان في كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري

د. إيمان بنت محمد بن فايز المدرَّع
أستاذ تاريخ العصور الوسطى الأوروبية المساعد - قسم التاريخ
كلية الآداب / جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل

ملخص البحث: رغم كثرة الدراسات التاريخية التي دارت في أغلبها حول استجلاء جوانب من تاريخ المسلمين في شبه الجزيرة الأسبانية ، وما أسهم به المسلمون حضاريا فيها، سطرت فيه الحضارة الإسلامية صفحة من أمجد صفحات أسبانيا في العصور الوسطى، بيد أنه لا يزال مع ذلك هناك كثير من الغموض يحيط ببعض جوانب هذه الفترة التاريخية، منها ما يتعلق بالحديث عن الإفرنج الأسبان، لاسيما إذا حاولنا معرفة صورة هؤلاء في إحدى المصادر الإسلامية في تلك الفترة.لذلك وقع اختيار الباحث على مصدر من أهم المصادر العربية الإسلامية وهو كتاب: "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"، للمؤرخ ابن عذارى المراكشي ليتناول من خلاله صورة الإفرنج الأسبان، لما يمثله هذا الكتاب من أهمية خاصة بين تلك المصادر لكونه يتضمن معلومات في غاية الأهمية من مصنفات علمية مفقودة، ومن ثم يهدف البحث إلي إبراز ما سجله ابن عذارى عن الإفرنج الأسبان من خلال كتابه البيان المغرب ، سواء كانت معلومات سياسية أو ذات ملامح حضارية ، من نمط الحياة والتقاليد عند مجتمع الإفرنج الأسبان، مما يعطى الدراسة مزيدا من الأهمية والزخم ، للوصول إلي تصور واضح عن صورة الإفرنج الأسبان في هذا المؤلف التاريخي.

استهل الباحث رسم صورة الإفرنج الأسبان في كتاب البيان المغرب بالحديث عن مكانة ودور المرأة في مجتمع الإفرنج الأسبان، وبعض الجوانب الأخلاقية لدى الإفرنج الأسبان، وكيف انعكست الطبيعة القاسية على أخلاق الإفرنج الأسبان، كذلك أورد العديد من الإشارات عن صفات المحارب الفرنجي الاسباني، والتكتيك العسكري أثناء القتال ، و براعة التحصينات العسكرية التي أقامها الإفرنج الأسبان، بل ونظام الحكم داخل إحدى الممالك الفرنجية في إسبانيا.

لم يغفل كذلك الحديث وجود نشاط صناعي وزراعي لدى مجتمع الإفرنج الأسبان رغم أجواء الحرب والقتال المحيطة بالجميع في تلك الفترة، والعديد من التفاصيل عن الحكام الأسبان مثل : ألفونسو السادس Alfonso VI وألفونسو الثامن Alfonso VIII ، وغيرهم مع التركيز على دورهم فيما يعرف بحركة الاسترداد، و للوصول إلى أفضل صورة عن الإفرنج الأسبان نجد ابن عذارى وقد اشترك في نقل إحدى أهم الأساطير التي انتشرت في العصور الوسطى وهى عن زائدة الأندلسية Zaida La Moraأو Caida وهي من الإشارات الهامة إذ كان الزواج المختلط من ابرز وسائل الاتصال الحضاري بين المسلمين وحكام الممالك الإفرنجية المسيحية في بلاد الاندلس وغيرها من الإشارات الهامة عن صورة الإفرنج الأسبان ، وكيف نجح ابن عذارى في النهاية في أن يخرج لنا صورة أوردها مؤرخ يشعرك وكأنه شاهدها بعينيه قبل أن يسردها بقلمه.

الكلمات المفتاحية : الإفرنج/ الأسبان/ البيان المغرب/ الأندلس/ ابن عذاري.

مقدمة

حظيت شبة الجزيرة الإيبرية[١] في فترة العصور الوسطى بنصيب كبير في الكتابات والمصادر التاريخية على اختلاف أصولها سواء العربية منها أم الأوربية، ولاسيما أن تلك المنطقة قد ازدهرت عندما فتحها المسلمون أواخر القرن الأول الهجري/ الثامن الميلادي، لتظل طيلة ما يقرب من ثمانية قرون من الزمان منارة للحضارة في العالم أنذاك ، وعُرفت بالدولة العربية الإسلامية في الأندلس [٢]. وعلى كثرة الدراسات التاريخية التى دارت في أغلبها حول استجلاء جوانب من تاريخ المسلمين في شبه الجزيرة ، وما أسهم به المسلمون حضارياً فيها ، سطرت فيه الحضارة

---

(١) أشتق لفظ إيبريا من نهر أبرو Ibro الذي سكنت بجواره إحدى القبائل تحت الإسم نفسه ، وأطلق اليونانيين على تلك البلاد اسم إسبانيا Ispania والتى قيل أنها نسبة لأحد الرجال القدامى أو اشتقت من الفظ الفينيقي سابان Sapan أي بلاد الأرانب ، وقد تكون مشتقة من لفظ هيسبيريا Esperia ، أى نجمة الغرب ، للمزيد من التفاصيل ،أنظر:

الحميري: صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، نشر وتصحيح وتعليق الحواشي: ليفي بروفنسال،ط٢ ، دار الجبل، بيروت١٩٨٨ م، ص ٢؛ راجع أيضاً:

حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس،مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد ١٩٦٧م،ص ١٣٨-١٤٠.

(٢) اشتق لفظ الأندلس Al Andalus من أندليش، وقد عرفه العرب عن طريق البربر في بلاد المغرب، وذلك منذ أن توجهت قبائل الوندال Vandalos الجرمانية إلى الشمال الأفريقي في عام ٤٢٩م،ويطلق لفظ الأندلس على الأجزاء التي سيطر عليها المسلمون في شبه الجزيرة الإيبرية، وظلت تطلق على ما في أيديهم حتى عندما انحصر وجودوهم في مدينة غرناطة وحدها أواخر العصور الوسطى ، أنظر:

الطاهر مكي: الأندلس تاريخ "أسمه وتطوره"، مجلة الثقافة، العدد ٢٢، القاهرة، يوليو ١٩٥٧م، ص٢٨-٣٠؛ أحمد مختار العبادي: صورة من حياة الحرب والجهاد بالأندلس، منشأة المعارف، الإسكندرية ٢٠٠٠م،ص١١؛عبد الرحمن حجي:التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة"٩٢-٨٩٧هـ"،دار التعلم – دمشق. ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ٣٧-٣٨.

الإسلامية صفحة من أحد صفحات المجد في إسبانيا في العصور الوسطى ، مايزال الغموض يلف بعض جوانب هذه القرون الثمانية ، ومنها ما يتعلق بالحديث عن الإفرنج[(١)] ، ولاسيما إذا حاولنا تلمس صورتهم في أحد المصادر الإسلامية في تلك الفترة.

وانطلاقاً مما سبق ، وقع اختيار الباحثة على مصدر من أهم المصادر العربية الإسلامية ، وهو كتاب : "البيان المغرب في اختصار أخبار الأندلس والمغرب" ، للمؤرخ ابن عذاري المراكشي ليتناول من خلاله صورة الإفرنج الإسبان على مستوياتٍ ثلاثة تبرز الجوانب الأساس في حياة الإفرنجة ، وهي :

أولاً : الجانب الاقتصادي :

ثانياً : الجانب الاجتماعي :

١- صورة المرأة .

٢- العوامل المؤثرة في أخلاق الإفرنج

أ- العامل الجغرافي.

ب- الزواج المختلط.

ج- اخلاقيات الإفرنج وعاداتهم.

ثالثاً : الجانب الديني :

رابعاً : الجانب الحربي :

---

(١) الإفرنج Franks : مصطلح فرنجي معناه الحر، ويرجح أن الإفرنج عرفوا بهذا الإسم لعقدهم العزم على الاستقلال عن سيطرة الإمبراطورية الرومانية، ورغبتهم في إقامة كيان سياسي خاص بهم بعيدا عن نفوذ روما، للمزيد من التفاصيل، أنظر:

صلاح مدني: تاريخ العصور الوسطى في أوربا، مطبعة الإنشاء، دمشق ١٩٧٣م، ص ١٧٠.

أ- النزاعات والحروب الداخلية في الممالك النصرانية .

ب- التنظيمات العسكرية.

لما يمثله هذا الكتاب من أهمية خاصة بين تلك المصادر نظراً لتضمنه معلومات في غاية الأهمية من مصنفات علمية مفقودة.

ويهدف البحث إلى إبراز ما سجله ابن عذاري عن الإفرنج في كتابه البيان المغرب، سواء أكانت معلومات سياسية أم اجتماعية ذات ملامح حضارية أوما تعلق بنمط الحياة والتقاليد في مجتمعهم، مما يكسب الدراسة مزيداً من الأهمية في الوصول إلى تصور واضح عن صورتهم في هذا المؤلف التاريخي.

مما لا شك فيه، أن المعلومات المتوافرة عن حياة مؤرخنا ابن عذاري قليلة للغاية، فما عرف عنه أنه أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري المَرَّاكُشِيّ - وتنطق "ابن عَذاري" وبالكسر أصح[1]- ويوضح لقبه أنه مؤرخ مغربي سكن مدينة "مَرَّاكُش"، ولكنه ذو أصول أندلسية، ومعلوماتنا شحيحة عن تاريخ ميلاده وكذلك

(١) لانكاد نعثر على ترجمة وافية له في الكتب التي اهتمت بتراجم رجال القرن الثامن للهجرة مثل الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني وجذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بمدينة فاس وغيرها من التراجم الأخرى ، وكل ماكتب عنه من قِبل كتاب التراجم المتأخرين ، لا يعدو سطوراً قليلة تركز على كتابة البيان المغرب ولكنها تختلف في ذكر اسمه فتارة تشير اليه باسم (أبي العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي) وتارة أخرى باسم (أبي عبد الله محمد بن عذاري المراكشي) ومن المرجح أن اسمه أبو العباس أحمد بن محمد الفقيه السيد الحاج القادري الفاسي ونقله عنه المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال حيث نشر الجزء الثالث من كتاب البيان المغرب أما لقبه أبن عذاري فيُرجح أنه نسبة إلى اسم جده (عذار) عبد الواحد ذنون طه : ابن عذاري المراكشي شيخ مؤرخي المغرب العربي ، مطبعة المدار الإسلامي ، الطبعة الأولى ، يناير ٢٠٠٥ ، ص١٢،١١

وفاته ، وإن كان من المرجح أنه عاش منذ أواخر القرن السابع حتى النصف الأول من القرن الثامن الهجري الثالث عشر والرابع عشر للميلاد و إصطلح على أنه توفي بعد سنة ٧١٢هـ التي هي آخر سنة تمت الإشارة إليها في كتابه [(١)] ، وعلى كثرة مؤلفات ابن عذاري ، فإن مؤلفه البيان المغرب يحتل مكانة مهمة لدى المهتمين بالدراسات التاريخية[(٢)] ، وقد نشر في عدة أجزاء ، تناول الجزء الأول تاريخ بلاد المغرب [(٣)] ، وبناءً

---

(١) كان أبن عذاري على درجة عالية من الثقافة والعلم نتيجة لمخالطته للعلماء والأخيار في عصره حيث أشار في كتابه البيان المغرب إلى مدى اهتمامه بمجالسة العلماء و الأدباء لأن في مجالستهم ومذاكرتهم تنويراً للأفكار أنظر : أبن عذاري : البيان المغرب الجزء الأول ص ١١ ؛ خير الدين الزركلي: الأعلام ، دار العلم ،بيروت ،ط٧،د.ت، ص ٣١٤ ؛ العباس بن إبراهيم:الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام،المطبعة الملكية،الرباط ١٩٦٧م،ص٢٨٥؛عبد القادر زمامة: مؤرخ المغرب و الأندلس ابن عذاري المراكشي، مجلة أفاق الثقافة والتراث، مج ٥، الإمارات، مايو١٩٨٧م، ص ١٠٧.

(٢) من المؤلفات الأخرى لابن عذاري بخلاف البيان المغرب، هناك: البيان المشْرِق في أخبار المشْرِق– صلة البيان المغرب– أخبار يزيد بن معاوية.،للمزيد من التفاصيل، أنظر:

محمد علي دبور: منهج ابن عذاري المراكشي ومصادره، منشور في مجلة ندوة التاريخ الإسلامي، يصدرها قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة– العدد ٢١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ٩ – ١٦٨؛ عبد الواحد ذنون طه : أبن عذاري المراكشي ، المرجع السابق .

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ٤ الأجزاء من ١ إلى ٣ تحقيق ومراجعة: الإنجليزي جورج كولان، والفرنسي ليفي بروفنسال، الجزء ٤ تحقيق ومراجعة: إحسان عباس، ط٣، دار الثقافة، بيروت ١٩٨٣م،بينما نشر مؤخراً ما يعرف بالبيان المغرب"القسم الموحدي"،تحقيق : إبراهيم الكناني وآخرون ،ط١،دار الغرب الإسلامي،بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٥م.

ويبحث المؤلف في الجزء الأول ، تاريخ شمال أفريقيا منذ الفتح العربي الإسلامي حتى ظهور المرابطين والموحدين وبحث أبن عذاري في الجزء الثاني أخبار الأندلس ، مبتدئاً بالفتح وعصر الولاة ثم بعهد الأمويين في عصري الإمارة والخلافة ، وما أعقبهما من قيام الدولة العامرية ، ثم تحدث عن ملوك الطوائف حتى دخول المرابطين إلى الأندلس سنة ٤٧٨هـ /١٠٨٥م و اختصر في الجزء الثالث أخبار الدولة المرابطية اللمتونية منذ أول أمرها في المغرب حتى توسعها وسيطرتها على الأندلس وماكان لها من شأن في العدوتين إلى حين =

عليه كان جُل اهتمامنا يبدأ مع الصفحات الأولى من الجزء الثاني حتى نهاية المؤلَّف، وفيه تناول ابن عذاري بلاد الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى بداية القرن الثامن الهجري/الثالث عشر الميلادي.

نجح المسلمون في فتح شبه الجزيرة ، في العقد الأخير من القرن الأول الهجري/بداية القرن الثامن الميلادي، ولكنهم لم يفرضوا سيطرتهم بشكل فعال على المناطق الشمالية الغربية، التى أصبحت مركزاً لتجمع فلول الإفرنج ، وبخاصة في أشتوريس Asturis في إقليم غاليسيا أو جليقية [(١)] Galicia، وذلك لوعورة المنطقة وقسوة مناخها[(٢)]، كما أنها لم تكن ذات شأن أو أهمية من النواحي الحربية أو العمرانية من وجهة نظر المسلمين، فضلاً على أنهم قد ملوا مثل تلك المناطق

=

ابتداء أمر الدولة الموحدية وما جرى بين الدولتين من صراع انتهى بتفوق الثانية وظهور الدولة الحفصية حتى استيلائها على مراكش عاصمة الموحدين في آخر سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ٤ الأجزاء من ١ إلى ٣ تحقيق ومراجعة: جورج كولان، و ليفي بروفنسال، الجزء ٤ تحقيق ومراجعة: إحسان عباس، ط٣، دار الثقافة، بيروت ١٩٨٣م، بينما نشر مؤخراً ما يعرف بالبيان المغرب"القسم الموحدي"،تحقيق : إبراهيم الكناني وآخرون ،ط١،دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٥م.

(١) جليقية Galicia إقليم واسع في الجهة الشمالية الغربية من شبه الجزيرة ، ويمتد من نهر دويرة جنوباً حتى خليج بسكونيا شمالاً،ويجاوره من الجنوب بلاد البشكنس وليون،ويتميز الأقليم بحصانته ووعورة أراضيه، ومن أشهر المدن هناك شانت ياقوب، للمزيد أنظر: ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٢، دار صادر، بيروت ١٩٧٧م، ص١٥٧؛ الحميري: صفة جزيرة الأندلس،ص ١٦٩. راجع أيضاً:عبد المحسن رمضان:أشتوريس إحدى قوى المسيحية المناهضة لولاة الأندلس"٩٥-١٢١هـ/٧١٤-٧٣٥م"، رسالة ماجستير غير منشورة،كلية الآداب – جامعة عين شمس ١٩٧٩م،ص ٤٤-٤٥.

(٢) عبد الواحد ذنون طه: دراسات أندلسية، دار المدار الإسلامي، بيروت ٢٠٠٤م، ص ١٤١.

الوعرة[١]، لذلك كوّن الإفرنجة عدة ممالك مسيحية في الشمال ، وخاضوا ما يعرف بحركة الإسترداد La Reconquista [٢]، وذلك لاستعادة شبه الجزيرة من المسلمين، ونظراً لأن لفظ بلاد الإفرنجة غالباً ما استخدمه المؤرخون المسلمون للدلالة على أراضي مسيحيي إسبانيا فضلاً على فرنجة غالة في الشمال[٣] من هذا المنطلق سوف

---

(١) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مج ١، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٦٨م،ص٢٢٤، راجع أيضاً:
أشرف يعقوب أحمد: الأندلس في عصر الولاه"٩١-١٣٨هـ/٧١١-٧٥٦م"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين ٢٠٠٤م، ص ٩٣.

(٢) الإسترداد La Reconquista كلمة إسبانية من الفعل إسترد Reconquistar ، وفي اللغة العربية إسترد فلاناً الشيء ، سأله أن يرده عليه، وهي حركة سياسية عسكرية مسيحية، لاستعادة شبه الجزيرة من المسلمين، و أشار المؤرخون إلى أن هناك مفهوماً عاماً وخاصاً لحركة الأسترداد ، فأشار بعضهم إلى أن المفهوم العام هو أ، هذه الحركة تعبر عن مقاومة الأيبيريين لأي قوات أجنبية غزت شبه الجزيرة الأيبيرية منذ عهد الفينيقيين و الإغريق والرومان والقوط الغربيين حتى فتح المسلمين للأندلس ، بينما يرى فريق آخر من المؤرخين أن المقصود بها هي الحروب التي شنها الأسبان المسيحيون ضد المسلمين في الأندلس منذ بداية الفتح الإسلامي الذي أستمر زهاء ثمانية قرون حتى سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس ٨٩٨هـ/١٤٩٢م ، محمد النشار : البابوية وفرنسا على مسرح الحروب الصليبية في الأندلس من مجلة اتحاذ المؤرخين العرب ١٩٩٦م ندوة الإطار التاريخي للحركة الصليبية ، ص٣ . ولمزيد من التفاصيل أنظر : البلاذري : فتوح البلدان ، تحقيق : عبد الله أنيس الطباع و عمر أنيس الطباع ، بيروت ١٩٨٧م ، ص٣٢٣ ؛ حسين مؤنس: بفجر الأندلس ، القاهرة ١٩٥٩م ، ص٣١٠ :Martin J > L : Lapeninsula en la Edad Media , Varcelona 1978 , p . 229
ed.Alianza،Diccionaria de historia de España،C.F.،Cuesta
p.453.، (2005، Madrid)

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ،١٠ أجزاء، بيروت ١٩٨٧م، ج٥ ص ١٠٢.

نبين صورة الإفرنج في كتاب البيان المغرب [١]، وفقاً للمنهج العلمي ومراعاة التسلسل الزمني الموضوعي لموضوع البحث. مع ذكر جوانب تلك الصورة.

أولاً : الجانب الاقتصادي:

وفيه نذكر النشاط الاقتصادي لدى الإفرنج ، الذي ألمح إليه ابن عذاري في كتابه البيان المغرب، فقد ذكر أنه في عام ٢٤٦ه/٨٦٠م ، حصل تقارب بين أردونيو وغرسيه أمير بنبلونه، ونجح الأمير محمد في التصدي لهم بل وأسر غرسيه - الذي ظل في الحبس - عشرين عاماً- وخرَّب المنازل ، ونسف الحرث و الزرع، والعديد من المحاصيل التي كان يزرعها الإفرنج في الأماكن المستقرين فيها [٢]. ولا شك أن في ذلك إشارة إلى اهتمام الإفرنج بالزراعة على أجواء الحرب والقتال المحيطة بالجميع في تلك الفترة.

يذكر ابن عذاري أن ما فعله المسلمون أغضب الملك أردونيو، فأعد جيشاً لمواجهتهم، وعندما علم الأمير محمد أرسل جيشاً بقيادة ابنه الأميرعبد الرحمن إلى اقليمي ألبة والقلاع وحاول أردونيو التصدي للمسلمين ولكنه هزم أيضاً [٣].

لم يغفل كتاب البيان المغرب، أن يشير إلى الظواهر الطبيعية التي تعرضت لها البلاد التي يقطنها الإفرنج إذ يذكر ابن عذاري أن معظم المناطق التي يسيطر عليها

---

(١) يذكر ابن عذاري أن سبب تدوينه كتاب"البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"، بقوله" ليكون لِمُطالِعه أوضحَ بيان، وأسهلَ مَرامٍ لدى العِيان، وسَمَّيْتُه بالبيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب" ، أنظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٣.

(٢) ابن عذاري البيان المغرب، ج٢ ، ص ٩٧

(٣) السابق، ج٢ ، ص ٩٨

هؤلاء قد تعرضت لزلزال عنيف في عام ٢٦٧ه/ ٨٨١م[١]. مما يشير إلى أن ابن عذاري تتبع بشغف معرفة كل ما دار في بلاد الإفرنج حتى ما يعرف بالكوارث الطبيعية التي تعرضوا لها.

وفي أثناء سرده لصفات الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني عقب وفاته في عام ٢٧٣ه/ ٨٨٧م ، يذكر ابن عذاري أنه كان محبوباً من ملوك البلدان المجاورة كافة، بل حتى من فرولش ملك الإفرنج، الذي كان يسترجح عقل الأمير، فيهاديه ويتحفه ، وأفرولش هذا عمل صورة لعيسى من ثلاثمائة رطل من الذهب الخالص ورصعها بالياقوت والزبرجد ، وجعل لها كرسياً من ذهب خالص مفصص بالياقوت والزبرجد أيضاً، فلما أكمل ذلك سجد له جميع أهل إفرنجة ، ثم دفعه إلى صاحب كنيسة الذهب بروما[٢].ولا شك أن ابن عذاري قد جانبه الصواب فيما ذكر، فإن كان يقصد بأفرولش ملك الإفرنج المقرب من بابا روما، وما قام به في خدمة الدين المسيحي جعله يحتل مكانة مميزة بين شعوب الغرب الأوربي ، فإنها بلا شك تنطبق على فرناندو الأول Fernando I (٤٢٦- ١٠٣٥/٤٥٧- ١٠٦٥م)، الذي جاء فيما بعد في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[٣] ، وأن كان ما يعنينا مما ذكره ابن عذاري،

---

(١) السابق، ج٢ ص ١٠٥.

(٢) السابق، ج٢ ص ١٠٨.

(٣) نجح فرناندو الأول في ضم مملكتي قشتالة وليون تحت سيطرته ، وعرف عنه تعصبه لدينه، وكان لديه مشاعر الروح الصليبية في نفسه،وكان يمضي وقتاً طويلاً في مجالسة رهبان دير ساهجون،وارتبط بعلاقة وثيقة بالبابا إسكندر الثاني Alexander II (١٠٦١-١٠٧٣م/٤٥٣-٤٦٥هـ) ، ومن ثم نال دعماً خاصاً من البابوية في حركة الإسترداد التي تزعمها ضد المسلمين في الأندلس ، في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وعن ذلك أنظر:

=

أنه يدل على وجود رخاء اقتصادي في مجتمع الإفرنج ، وأيضاً إلى وجود علاقات طيبة بينهم وبين البابوية في روما.

وفي محاولات التحالف التى أبداها ألفونسو الثاني مع شارلمان Carlomagno ، مايشي ببعد اقتصادي ، وذلك أنهما بعد أن علما أن الأوضاع الداخلية عند مسلمي الأندلس متردية مع بداية تولي الحكم بن هشام(١٨٠- ٢٠٦ه/- ٧٩٦-٨٢٢م)[١] ، التى أشار إليها كتاب البيان المغرب ، مشيراً إلى أنه في أواخر عام ١٨١ه/ ٧٩٧م أرسل ألفونسو مبعوثه فرويلة Froilaعلى رأس وفد إلى شارلمان يحمل هدية عبارة عن خيمة ذات صنعة عجيبة[٢] ، وهو ما يشير إلى وجود نشاط صناعي لدى مجتمع الإفرنج في أواخر القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي.

=

ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مج١،تحقيق:إحسان عباس، دار الثقافة ،ق ٣، بيروت ١٩٩٧م، ص١٨٣٣-١٨٤ ؛ راجع أيضاً: محمد محمود النشار:دراسات في تاريخ الحروب الصليبية في الأندلس،القاهرة ٢٠٠٣م،ص٣٥٦-٣٥٧؛ مهجة أمين الباشا: سقوط الأندلس"تاريخه وأسبابه"شراع للدراسات والتوزيع ،دمشق ٢٠٠٢م،ص ٨٥.

(١) هو الحكم الأول المعروف بالربضي، وعرف عهده بكثرة الثورات والاضطرابات، أرسل شارلمان قوات نجحت في الإستيلاء على برشلونة في عام ١٩٠هـ/٨٠٦م، وقت انشغال الحكم بثورة أعمامه في جنوب الأندلس، وفي عهده قامت ما يعرف بثورة الربض في قرطبة عام ٢٠٢هـ/٨١٨م، للمزيد من التفاصيل أنظر:

ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢ ص ٤٠؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٢،دار الكتاب المصرى، القاهرة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م ،ص ٦٤-٦٥٦؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص ٣٤٠؛ راجع أيضاً: طة عبد المقصود عبد الحميد: موجز تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة،القاهرة ٢٠٠٤م،ص ٣٢.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢ ص ٤١.

وتجدر الإشارة هنا أنه في الوقت الذي كان فيه الأندلسيون يعتمدون على الدواب في نقل أمتعتهم ومواصلاتهم، أشار ابن عذاري إلى أحد الهدايا المرسلة من قبل سانشو غرسيه كونت قشتالة، وكانت تتكون من ألف عجلة من الدقيق والعقاقير وأنواع من المآكل، وذلك في عام ٣٩٩هـ/١٠٢٩ م[١] ، وهكذا كان للفرنج السبق الحضاري في استخدام العربات في شبه الجزيرة.Carretas .

ويذكر ابن عذاري المدن العامرة بوصفها وجهاً للنشاط الاقتصادي، الذي أفرزته الحضارة أنه عندما واصل المسلمون فتوحاتهم، وتوجهوا لفتح ماردة Merida، وصفها ابن عذاري بأنها كانت دار ملك فيما سبق، وكانت مدينة إسبانية فيها آثار عجيبة وقصور وكنائس تفوق وصف الناظرين ، وهي إحدى القواعد الأربعة في الأندلس التي بناها قيصرCaesar، وهي ماردة وقرطبة وإشبلية وطليطلة، وعندما دخلها موسى بن نصير في ١٤ شوال ٩٤هـ/ ٣٠ يونيو ٧١٣م وجد بها الكثير من الكنوز[٢] ، وما ذكر في البيان المغرب أكد عدد من المصادر فيما بعد من مثل ما سجله الحميري، وابن الكردبوس، بل وما برهنت عليه إحدى الدراسات الحديثة من أنها إحدى المدن المكتظة بالآثار الرومانية القديمة، ومنها الطريق الذي عرف بطريق الفضة،

---

(١) السابق، ج٣ ، ص٨٦.

وللمزيد من التفاصيل عن هذا الأمر، أنظر:

أحمد مختار العبادى: صور من حياة الحرب والقتال في الأندلس، منشأة المعارف، الإسكندرية ٢٠٠م، ص٧١.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢ ص ١٤-١٥.

والعديد من القصور الرائعة[١] ، وكانت ماردة أهم مدن إسبانيا في العصر الروماني ، وقد أنشأها الإمبراطور الروماني أوغسطس Augustus (٢٧ ق.م- ١٤م) في عام ٢٥ق.م ، بل وحملت مشعل الحضارة الرومانية في إسبانيا ، حتى عرفت بأنها روما La Rome de España[٢] ، وبهذا يكون البيان المغرب قد أورد معلومات تاريخية في غاية الأهمية عن ماردة.

ثانياً: الجانب الاجتماعي:

١. صورة المرأة:

استهل ابن عذاري رسم صورة الإفرنج في كتاب البيان المغرب بالحديث عن مكانة المرأة ودورها في مجتمع الإفرنج ، وتفاصيل ذلك أنه عندما قرر المسلمون فتح شرق الأندلس El levante ، واجههم مقاومة عنيفة من قبل مدينة تدمير أو مرسيه Murcia[٣] ، التى أرجع ابن عذاري هذا الاسم إلى حاكمها تيودومير ، الذي اعتصم في قلعته الحصينة ، التي تدعى أوريولة Oriluela ، ويذكر ابن عذاري أن حاكمها ،

---

(١) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٧٥-١٧٦؛ ابن الكردبوس : الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق:أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، مج ١٣، ١٩٦٦م،ص ١٤٧.

(٢) سحر السيد عبد العزيز سالم : تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ٢٠٠٥م ، ص ١٤٢-١٤٣.

(٣) مرسيه مدينة في جنوب شرق إسبانيا، تبعد عن البحر ما يقرب من ٦٤كم، وميناؤها يسمى قرطاجنة Cartagena واسمها القديم هو تدمير نسبة إلى تيودمير حاكم المنطقة،وأصبحت تحت سيطرة المسلمين منذ عام ٩٣هـ/ ٧١٢ م ،حتى سقطت في يد خايمي الأول عام ٦٦٤هـ/١٢٦٦م، أنظر:
العذري: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار، تحقيق:عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية مدريد ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م،ص١٠؛ ابن الأبار: الحلة السيراء ، تحقيق: حسين مؤنس،ط٢،دار المعارف ،القاهرة ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م،ج١،ص ٩-١٠.

الـذي أطلـق عليـه العلـج تيـودومير[١]، عنـدما شـعر بأنـه عـاجز عـن صـد الهجـوم الإسلامي بسبب قلة ما يملكه من رجال ، لجأ إلى حيلة وهـي بـأن أمـر النسـاء أن يقفـن على أسوار الحصن، وينشرن شعورهن، حـاملات السـلاح ، وهـو مـا جعـل المسـلمين يعتقدون أن الحصن مكتظ بالمقـاتلين ، ومـن ثـم وافقـوا علـى مـا طلـب تيـودومير لعقـد هدنة ، ونجح الأخير في عقد صلح تم بمقتضاة الحصول على الأمان له ولأسرته ولأهـل المدينة جميعاً، وأنه عندما دخل المسلمون المدينة لم يجـدوا سـوى القليـل مـن الرجـال، واكتشفوا ما قـام بـه تيـودومير مـن خدعـة[٢]، ولا شـك أن تلـك الحيلـة الـتي لجـأ إليهـا الحاكم الإفرنجي، هي من الحيل القديمة التى عرف عن القبائل الجرمانيـة اسـتخدامها في القتال ، وبخاصة من جانـب مـا عرفـوا باللمبـارديين Longbard[٣]، إلا أن تلـك الحادثـة التي ذكرت في كتاب البيـان المغـرب، لـدليل علـى رسـم صـورة مهمـة للمـرأة الإفرنجيـة وتمتعها بالشجاعة والإقدام حتى لو اقتضى الأمر القتال وصد الأعداء.

---

(١) علج وجمعهـا علـوج ، وهـو صـفة للرجـل الضـخم الأبلـه الـذي لم يمـارس أسـباب الحضـارة ، وكـان العـرب يطلقونه على الأعاجم ، وبخاصة الذين لا يعترفون بسلطان أو سلطة، للمزيد أنظر:
ابن منظور: لسان العرب،ج٢،دار صادر، بيروت ١٩٩٧م،ص ٣٢٦.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ١١.

(٣) كـان اللمبـارديون آخـر الشـعوب الجرمانيـة الـتي اقتحمـت الإمبراطوريـة الرومانيـة، واسـتقرت داخـل أرضـيها أواخـر القـرن الخـامس الميلادي، وتـروي الأسـطورة عـن وجـود قبيلـة قديمـة بشـبه الجزيـرة الإيطاليـة، وتـدعى الونيلي Winnili ، وقد اعتادت نسـاؤها علـى جـدل شـعورهن حـول أذقـانهن حـتى يبـدو علـى هيئـة لحـى ، ويبـدون مثـل الرجـال، وهـى تعـد مـن إحـدى الحيـل التي تساعدهـم في التفـوق علـى أعـدائهـم في أثنـاءالقتال، ومن ثم أصبح يطلق عليهـم في لغتهـم اسـم اللمبارديين Longbardاي أصـحاب اللحـى الطويلـة ، أنظـر: محمودمحمـد الحـويرى: اللومبـارديون في التـاريخ والحضـارة"٥٦٨-٧٧٤م"،ط١،دار المعـراف،القـاهرة ١٩٨٦م،ص ١٧-١٨.

٢. العوامل المؤثرة في أخلاق الإفرنج :

أ- العامل الجغرافي :

أورد البيان المغرب معلومات مهمة تفيد كيف انعكست الطبيعة القاسية على أخلاق الإفرنج ، فغلبت عليهم الخشونة والقسوة والتعصب حتى وصفهم بأنهم قوم كالبهائم ، وأنهم أهل غدر ودناءة أخلاق[١] ، وإذ كان من المعروف أن شبة الجزيرة الإيبرية ، وبخاصة في الشمال حيث تنتشر الأراضي الجبلية الصعبة ، وكثرة الطرق الوعرة [٢] ، وهو ما أكده الحميري في القرن الثامن الهجري فيما بعد[٣] وأن كان من الملاحظ أنه في موضع آخر يشير إلى أن العرب ، الذين جلبوا معهم الترف واللين ، أسهموا في إحداث تغيير في طبيعة الإفرنج الهمجية [٤] ، مما يدل على أن ابن عذاري لم يغفل تأثير العامل الجغرافي في شخصية الإفرنجي ، ومن ثم في طبيعة علاقاتهم بالمسلمين في تلك الفترة.

ب. الزواج المختلط :

وسط هذا الكم من الأخبار مما يرويه كتاب البيان المغرب من معلومات للوصول إلى أفضل صورة عن الإفرنج ، نجده يشترك في نقل إحدى أهم الأساطير التى انتشرت في العصور الوسطى وهي عن زائدة الأندلسية Zaida La Moraأو Caida ابنة المعتمد بن عباد ، التي تروي الحوليات ، أن المعتمد عندما استشعر خطر المرابطين على مملكته استعان بملك قشتالة ألفونسو السادس وعقد معه تحالفاً

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢ ،ص ١٧.

(٢) J.، A.، Spain: The Root and Flower، (U.S.A، 1985)، P.4.

(٣) الحميري: صفه جزيرة الأندلس ،ص ١٦٩.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢ ص ١٦

عسكرياً، على أن يكون من ضمن شروطه تزويج المعتمد ابنته زائدة إلى ألفونسو ، وأنها دخلت في المسيحية وأنجبت له ابنه شانجة (سانشوSancho)، وفي ظل صمت المصادر الإسلامية في الحديث عن ذلك الأمر، وجدنا ابن عذاري يذكر في أخبار عام ٥٠١ه/ ١١٠٨م أنه في أثناء حملة ملك قشتالة ألفونسو السادس لنجدة أقليش قبيل سقوطها في أيدى المرابطين، وصل على رأس قوات الإفرنج التى بلغت سبعة آلاف رجل، وهو ابن ألفونسو من زوجته ابنة المعتمد بن عباد، التى كانت قد تنصرت(١) ، وأي تكن تفاصيل تلك الأسطورة، التي جاءت على شكل زيجة سياسية ، ومهما كان نصيبها من الحقيقة ، فقد أفرد لها ليفي بروفنسالLevi Provencel دراسة وافية (٢) ، وانفرد كتاب البيان المغرب دون غيره من المصادر بذكر تلك الأسطورة ، التي تعد من

(١) انفرد ابن أبي زرع بالإشارة إلى أن سانشو(شانجة)كان يبلغ من العمر خمسة عشرة عاماً في تلك الأحداث، بينما اكتفى ابن القطان بالإشارة إلى سناشو على أنه ابن ألفونسو فقط دون ذكر أسمه ، أنظر:

ابن عذاري:الجزء الخاص بالموحدين،ص ٦١؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور، الرباط ١٩٧٣م،، ص ١٦٠؛ ابن القطان المراكشي: نظم الجمان ترتيب ما سلف من أخبار الزمان، درسه وقدم له وحققه:محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي،١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص ٦٤

(٢) Zaida La Mora Femme d Alfonso VI LInfant ،Provencel ،Hisperis،XVIII،1934)) ،pp.1-8.

وللمزيد من التفاصيل عن الزواج المختلط بين المسلمين و في العصور الوسطى، أنظر:

خالد حسن حمد الجب إلى: الزواج المختلط بين المسلمين و من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط الخلافة، مكتبة الآداب،القاهرة ٢٠٠٤م.

الإشارات المهمة إلى أن الزواج المختلط كان من أبرز وسائل الاتصال الحضاري بين المسلمين وحكام الممالك الإفرنجية المسيحية في بلاد الأندلس.

ج. أخلاقيات الإفرنج وعاداتهم :

لم يغفل ابن عذاري الإشارة إلى بعض الجوانب الأخلاقية في حياة الإفرنج ؛ فيذكر أن الأدفونش- يقصد ألفونسو السادس ملك قشتالة - كان على علاقة محرمة بأخته وتدعى أراكة Urraca [١].

ومن ثم عاد وتحدث مرة أخرى عن دور المرأة في أسرة الإفرنجي - زمن نفس الملك - بقوله كان لها دور فعال في مساندة زوجها فهي إلى جانب عملها المنزلي تقوم بالاهتمام بتربية الأبناء وبخاصة الذكور، ليلتحقوا بالرجال في القتال[٢] .

ثالثاً : الجانب الديني :

أفرد ابن عذاري حديثاً مطولاً عن مدينة شانت ياقوب وأهميتها الدينية عند الإفرنج ومسيحيي الغرب بأجمعه ، وأن كنيستها بمثابة الكعبة عند المسلمين وأن بها قبر يعقوب ، الذي هو بلسانهم ياقب، أحد حواريي عيسى عليه السلام، وهم يزعمون أنه ابن ليوسف النجار ، وبالمحصلة فهو أخ لعيسى عليه السلام، ومن ثم يعدون يعقوب أحد المقربين من الرب حسب زعمهم، مظهراً دهشته من أن يقبل أناس يعتنقون المسيحية أن يكون هناك أخوة للمسيح ، ولذلك أصبحت المدينة المزار الرئيس للمسيحيين ، بل والقادمين من مدينة روما وما ورائها، من البلدان المسيحية، وكانت المدينة دائماً مكتظة بالحجاج المسيحيين. وعندما دخلها المنصور بن أبي عامر، عمل

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٤،ص ٥١.

(٢) السابق، ج٤،ص ١٧٦.

على حماية أماكنها المقدسة وذلك في عام ٣٨٧ه/٩٩٧م[١]. وهو الأمر الذي لفت انتباه أميركو كاسترو Americo Castro في دراسته عن العلاقات التي جمعت بين أصحاب الديانات الثلاث في شبه الجزيرة في العصور الوسطى ، أن ابن عذاري فيما أشار إليه كان لديه فضول وشغف لمعرفة كل ما يخص الجوانب الدينية ، ومن ثم عرضها للقارىء لكى يتعرف إلى الفكر الديني عند هؤلاء في تلك الفترة [٢].

أورد كتاب البيان المغرب أن عبد الرحمن الناصر قام بأول غزواته على بلاد الإفرنج وفتح حصن ممقر من ثغر برشلونة ، وكيف أرسل ألفونسو بن أردون الملقب بابن البربرية وخاله سانشو بن غرسيه أمير جليقية الرسل للصلح[٣]..

رابعاً : الجانب الحربي:

١- النزاعات والحروب الداخلية في الممالك النصرانية :

من الأمور المهمة التى اهتم كتاب البيان المغرب بذكرها، هي إظهار الصراعات الداخلية والحروب الأهلية التي نشبت بين القائمين على السلطة بين الإفرنج ، وهو ما حدث عقب وفاة أردونيو الثاني عام ٣١٢ه/٩٢٤م، إذ نشبت

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢ ،ص ٣٩٥- ٣٩٧.

ومن الملاحظ أن الحميري، هو الوحيد من بين المصادر العربية التي أشارت إلى أهمية تلك المدينة ، أنظر: الحميري: الروض المعطار،ص ٣٤٨.

(٢) SU EN Espana،Castro Americo

Judios.،Moros/y،Historia"Cristianos

وقد اعتمد الباحث على الترجمة العربية التي نشرت تحت عنوان:

أميركو كاسترو: إسبانيا في تاريخها "المسيحيون والمسلمون واليهود"،ترجمة:على إبراهيم منوفي،مراجعة: حامد أبو أحمد،المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة٢٠٠٣م، ص ١٣٩.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣ ، ص٤-٥.

حرب أهليه بين أحد أبنائه شانجه "سانشو" وألفونسو ، ونجح الأخير في الحصول على التاج ولقب بألفونسو الرابع ، وعرف بالسيءELmala (٣١٣- ٣٢٠ه/٩٢٥-٩٣٢م)، ولكن شانجه "سانشو" جمع جيشاً، وتوج في الكنيسة ، وانتهى هذا الصراع بين أفراد العائلة حتى حسمه روميرو الثاني[١] Ramiro II ، ولم يشر إلى هذا الصراع العائلي وبتلك التفاصيل غير ابن عذاري.[٢]

ولم يغفل كتاب البيان المغرب المشاكل الداخلية للإفرنج وبخاصة تلك التي حدثت عقب وفاة برمودا الثاني Vermoda II (٣٧٢- ٣٨٩ه/٩٨٥- ٩٩٩م)، وتولي ابنه ألفونسو الخامس الملقب بالنبيل Alfonso V el noble مشيراً إلى مسالة الوصاية على ألفونسو إذ كان طفلاً في ذلك الوقت، وقد تم اختيار أحد أشراف جليقية ليكون وصياً على الملك الطفل [٣]، وبناءً عليه نقول إن ابن عذاري كان على علم بما يخص القواعد المتبعة في تولي السلطة في البلاط الإفرنجي .

سيَّر المنصور بن أبي عامر حملة إلى مملكة ليون وتحديداً إلى مدينة شانت ياقوب[٤] وذلك في عام ٣٨٧ه/٩٩٧م، وعاد إلى قرطبة محملاً بالغنائم، واستطاع المسلمون استرداد ما سبق وأن فقدوه في عهد ألفونسو الثالث.

---

(١) رينهارت دوزي: المرجع السابق، ج٢، ص ٢٨.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٢١٧ .

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣ ، ص٤.

(٤) من المدن المهمة، وتقع في الشمال الغربي من مدينة ليون بالقرب من المحيط الأطلسي ، بينها وبينه مسيرة يوم واحد ، وسميت بهذا الاسم لأنها تحتوى على رفات القديس يعقوب أحد حواري السيد المسيح "عليه السلام" ، وقد بنيت بها كنيسة أصبحت مزاراً لحج المسيحيين ، أنظر:
الحميري:الروض المعطار، ص ٣٤٨.

ويذكر ابن عذاري أن ملوك إسبانيا المسيحية صاروا يدفعون الجزية لقرطبة، بسبب مشاكلهم وخلافاتهم الداخلية [(١)] . مما يظهر الإفرنج وكأنهم يستغلون باستمرار مايحدث من صراع في المعسكر الإسلامي لمصلحتهم الشخصية.

ب. التنظيمات العسكرية :

تحدث ابن عذاري عن إقامة كل من الملك أردونيو الثاني وشانجة" سانشو" ملك نافار(٢٩٣- ٣٢٤هـ/٩٠٥- ٩٢٦م) معسكراً بالقرب من إحدى المدن الصغيرة وتدعى قلهرة[(٢)] ، ليتوجة إليهم الأمير عبد الرحمن ويهاجمهم في مكان يدعى جوانكير Junquera غرب مدينة بنبلونة[(٣)] وعندما دار القتال يذكر ابن عذاري أن الإفرنج بدؤوا القتال بإصدار همهمات ثم صيحات مدوية لبث الرعب في نفوس المسلمين، ولكن نجح الأمير عبد الرحمن في النهاية في إلحاق الهزيمة بالملوك ووقع عدد من الأسرى في أيدي المسلمين ، وظل عبد الرحمن أربعة أيام يجمع الغنائم، ، ومنها

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢ ، ص ٣٩٧ ، راجع أيضاً:
عبادة عبد الرحمن كحيلة: القطوف الدواني في التاريخ الإسباني ، القاهرة ١٩٩٨م،ص ١٥٨

(٢) قلهرة مدينة من أعمال تطيلة شرقي الأندلس، في الشمال الغربي منها، أنظر:
ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج٤، ص ٣٩٢.

(٣) بنبلونة تقع في الشمال الشرقي للأندلس، بالقرب من جبل البرتات، الذي يفصل إسبانيا عن جنوب فرنسا، وتقع على نهر أراج Arag أحد فروع نهر إبرهEbro وقد أسسها الرومان ثم فتحها العرب وبسبب مقاومة أهلها لم يستطع العرب البقاء فيها مدة طويلة، وبينها وبين سرقسطة ٢٥٠كم،للمزيد أنظر:
الحميري: الروض المعطار، ص ١٠٤، راجع أيضاً:
شكيب أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية،٢ جزء ، المطبعة الرحمانية،القاهرة ١٩٣٦م، ج٢، ص ١١٤.

حلي نادرة وأوان ذهبية متقنة الصنع ، وكان من بين أسرى هذه المعركة أسقفان من الإفرنج هما : دولتديو أسقف شلمنقة ، وأرمخيو أسقف توي ، وقد كانا يحاربان كجنديين ، وذلك في عام ٣٠٨ه/٩٢٠م [١] ، وقد عرف أن القبائل الجرمانية التي انتشرت بين ربوع القارة الأوربية في بداية العصور الوسطى ، قد استخدمت في القتال ما يعرف بصيحة الباريتوس Barritus ، التي تبدأ بصوت منخفض ثم ما تلبث أن ترتفع بشكل متعمد لبث الرعب في نفوس العدو ومعلنة في الوقت نفسه عن تحرك قواتهم [٢] ، وبذلك يكون ابن عذاري قد أمدنا بإحدى التقاليد التي ورثها الإفرنج من أسلافهم الجرمان فيما يخص أساليب تكتيك القتال ، ولا نغفل كذلك أن ما ذكره عن الغنائم التى حصل عليها الأمير دليل على الثراء الكبير الذي تمتع به الإفرنج في تلك الفترة ، بالإضافة إلى مشاركة رجال الدين المسيحيين كجنود في المعركة كان من أهم الإشارات في كتاب البيان المغرب.

وواصل كتاب البيان المغرب رسم صورة الإفرنج ، وفي عام ٤٠٠ه/١٠١٠م ، فيذكر أنه حدثت فتنة كبرى بين مسلمي الأندلس حينما تحالف الأمير واضح الفتي مع الإفرنج ضد الأمير سليمان بن حكم المستعين بالله المتحالف مع البربر ، وقد انفرد ابن عذاري بتفاصيل تلك الأحداث إذ ذكر أن واضح أرسل إلى ريموند بوريل الثالث

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ١٧٨؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج٤،ص ١٨٢.

(٢) انتشرت تلك الصيحة بين العديد من القبائل الجرمانية، وهي بمثابة إعلان الحرب، وتبدأ بأصوات منخفضة من جانب الجنود ثم مع استخدام الطرق بقوة على الدروع يبدو الأمر وكأنه صرخات مرعبة، أنظر:

ed.by Martin ،Rome`s Enemies: Germanics and Docians،p.،Wilcox p.22.، (1982،Osprey Publishing،(London،Windrow

حاكم برشلونة ، وأخيه أرمنجول Armengol ، Raimond Borrel III Barcelona ، - إذ أطلق ابن عذاري وعبد الواحد المراكشي على الأخير اسم أرمقند - يطالبهم بمساعدته عسكرياً وتسليمهم مدينة سالم قاعدة الثغر الأوسط ، وهو ما حدث بالفعل مع قدوم قوات الإفرنج إليه ، وعندما وصلت القوات الإفرنجية إلى مدينة سالم قاموا بتحويل المسجد إلى كنيسة ، وحصل كل رجل إفرنجي على دينارين وشراب وطعام وبخاصة اللحوم التي كانوا يفضلونها في مأكلهم(١) وعندما اصطدمت القوات الإسلامية المتحالفة مع الإفرنج في منطقة عقبة البقر ، ومايهمنا من ذلك هو سقوط الألاف من الإفرنج منهم أرمقند ووزير الملك ريموند وكان يهودياً(٢).

ولعل في إشارة البيان المغرب عن الوزير اليهودي دليلاً على أن الإفرنج كانوا يستعينون بعناصر خارجية في أجهزة الدولة المختلفة.

الجدير بالذكر ، أن البيان المغرب أشار إلى لجوء لبيب الصقلبي إلى أحد أمراء الإفرنج(٣) ، يظهر من خلاله أن اللجوء السياسي كان له أثره في عملية المزج الحضاري بين المسلمين والإفرنج في هذا العصر ، كذلك أظهر البيان المغرب كيف قام منذر بن

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣ ، ص٩٥.

(٢) تعرف عقبة البقر أيضاً باسم دار البقر EL Castille del Bacar وتقع على بعد ٢٠كم شم إلى قرطبة، أنظر:

ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣ ،ص ٩٧-٩٨، عبد الواحد بن على المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، نشره الأستاذان: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي،القاهرة ١٩٤٩م، ص ٤٢. راجع أيضاً : السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس"،ص ٣٥٢.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣ ، ص١٦٣.

يحي بعقد صلح مع الإفرنج، و اتهامهم بأنهم أقنعوه بالدخول في المسيحية[١]. وهي إشارة تفيد بوجود فترات يرغب خلالها القائمون على الأمر في شبه الجزيرة - سواء من جانب المسلمين أم من جانب الإفرنج إلى الجنوح إلى السلام .

وعن صفات المحارب الإفرنجي ورد في كتاب البيان المغرب، ما قوله: "أن الإفرنج لديهم العدد والعدة، والجلد والشدة، والبأس والنجدة[٢]، وهكذا أراد أن تكون إشارته إلى تلك الصفات تمهيداً لما سوف يورده بعد ذلك عن التنظيمات الحربية عند الإفرنج ، التي كان لها دور مهم بما قاموا به وسرده بالتفصيل فيما يعرف بحركة الإسترداد تلك التى قادها الإفرنج .

ثم ما لبث أن ظهر الصراع بين المسلمين والإفرنج بشكل تفصيلي، وذلك في عهد أمير المسلمين هشام الرضا (١٧٢- ١٨٠ه/٧٨٩- ٧٩٦م)[٣] و برمودا ملك

(١) السابق، ج٣ ، ص١٧٦.

(٢) السابق ، ج٢ ص ٢١

(٣) هو ابن الأمير عبد الرحمن الداخل- مؤسس الدولة الأموية في الأندلس- وقد ولد في قرطبة عام ١٣٩هـ/ ٨٥٧م، وقد ولاه والده ولاية ماردة ، و تمت البيعة له عقب وفاة والده في ١٧٢هـ/ ٧٨٨م ، و واجه ثورتي أخواه البلينسي وسليمان وهزمهما ، ومن أعماله الشهيرة استكماله بناء جامع قرطبة عقب وفاة والده،وأصلح قنطرة قرطبة، وأمر بتدريس اللغة العربية في معاهد المسيحيين واليهود ، فكان بذلك من أوائل من حاول وضع أسس التمازج بين أصحاب الديانات الثلاث في الأندلس و وتوفي في عام ١٨٠هـ/ ٧٩٦م ، أنظر:

ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٦٣-٦٥؛ ابن الأبار: الحلة السيراء ، ج١، ص٤٢؛ مؤرخ مجهول:أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها، تحقيق:إبراهيم الأبياري،بيروت ١٩٨١م،ص ١٠٩-١١٠

ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، دار المعارف،القاهرة١٩٨٢م،ص ٩٥-٩٧؛ المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،مج ١، تحقيق: إحسان عباس،دار صادر، بيروت ١٩٦٨م ، ص٣٣٤.

أشـتوريس (٧٨٨- ٧٩١م/١٧٢- ١٧٥ه) [١] حـين أرسـل هشـام جيشـاً في عـام ١٧٦ه/٧٩٤م نجح في هزيمة جيش برمودا عند نهر بروربيا Burbia ، فهزمه وقتل ما يقرب من عشرة آلاف رجل [٢] و فوجئنا بعدها مباشرة بتنازل برمودا عن العرش ، والتوجه إلى أحد الأديرة ، حيث أمضى ما بقي من عمره هناك ، تاركاً الحكم [٣] ، ويرجح الباحث أن تلك المعركة كان لها أثر كبير على الإفرنج بعد أن خشي الملك برمودا على مستقبل مملكته بعد تلك الهزيمة ، في إشارة - غير مقصودة - من ابن عذاري إلى نظام الحكم داخل إحدى الممالك الإفرنجية في إسبانيا.

لم يغفل ابن عذاري أن يشير إلى أن أول صدام عسكري بين الأمير هشام وألفونسو الثاني عندما أرسل هشام جيشاً بقيادة عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث [٤]

---

(١) عندما توفي موريجاتو Mouregato ملك أشتوريس(٧٨٤-٧٨٨م/١٦٨-١٧٢هـ) ،كان المفروض أن يتولى العرش ألفونسو بن فرويلا، لكن الأشراف رفضوا تولي ألفونسو،واختاروا برمودا بن فرويلا ، وشقيق موريجاتو ، وقد أطلق على برمودا لقب" برمودا القس" نظرا لتدينه ، أنظر:

عبد المحسن طه رمضان: الحروب الصليبية في الأندلس،"ميلادها وتطورها حتى القرن العاشر الميلادي"،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ٢٠٠١م، ص ٣٨٨.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢ ص ٦٣؛ مؤرخ مجهول:أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها،ص ١٢١؛ ابن الأثير: الكامل،ج٥،ص٢٩٦.

(٣) ما حدث من جانب الملك برمودا لم يفت المؤرخين المسلمين ،إذ يذكر مؤلف مجهول (عاش في القرن ٤هـ/١٠م) " أنه أيام الأمير هشام خرج ملك جليقية عن ملكه وترهب" أنظر:

مؤرخ مجهول:أخبار مجموعة في فتح الأندلس ، ص ١٤٢ ؛ وعن ذلك راجع: محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس،ج١،من الفتح الى بداية عهد الناصر،ط٤، مكتبة الخانجي،القاهرة ١٩٧٩م، ص٢٢٠.

(٤) جده هو مغيث بن الحارث بن جبلة ، أما والده فهو عبد الواحد كان حاجباً لعبد الرحمن الداخل ثم لابنه هشام، وتوفي في عهد الحكم الربضي(١٩٩هـ/٨١٥م) وقد خلف ثلاثة أبناء كان لهم مكانة عظيمة في أيام هشام وابنه الحكم، وهم:عبد الملك وعبد الكريم ، وعبد الحميد، للمزيد من التفاصيل:

=

إلى الإفرنجة حقق انتصاراً رائعاً في عام ١٧٧ه/٧٩٣م[١]. وقد أبدى ابن عذاري اهتماماً كبيراً بالتحركات العسكرية التى قام بها ألفونسو الثاني Alfonso II ملك أشتوريس(١٧٥- ٢٢٧ه/٧٩١- ٨٤٢م) ، الذي عرف عنه حروبه العديدة ضد مسلمي الأندلس ، والملقب بالعفيف El casto [٢] ، و يروي البيان المغرب عنه أنه جمع جيشاً كبيراً ونجح في استمالة قبائل البشكنسVascos [٣] ، وهو ما دفع بالأمير هشام أن يجهز جيشاً في عام ١٧٩ه/٧٩٥م على رأسه عبد الكريم بن عبد الواحد بلغت عدته ما يقرب من عشرة آلاف مقاتل، نجح في الوصول إلى مدينة أستورقة في جليقية ، وفي البداية هاجم ثلاثة آلاف من الإفرنج القوات الإسلامية ، ولكنهم هُزموا أمام المسلمين وقتل قائدهم، الذي أطلق عليه ابن عذاري اسم غندمارة Condermarus ، وفر

=

مؤرخ مجهول:أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها، تحقيق:إبراهيم الأبياري،بيروت ١٩٨١م،ص ٦٤.

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢ ص ٦٤.

(٢) هو ابن فرويلا الأول وحفيد ألفونسو الأول ، وصل لعرش قشتالة عقب تنازل برمودا الأول عنه ، وتزوج من الأميرة الفرنسية بيرتا Berta وأتخذ من مدينة كانجاس عاصمه لمملكته بدلاً من أفييدو ، وعمل على زيادة تحصين المناطق القريبة من المسلمين، أنظر:

p.55.، (1966،(New York،Ahistory of Spain،C.E.،Chapman

(٣) البشكنس أو الباسكين Basque هم الشعب الذي سكن الأقاليم الممتدة من غرب جبال البرتات"البراانس" حتى شرق أشتوريس بمحاذاة شاطىء خليج بسكونية ، وتشمل مقاطعة نافار، وعاصمتها بنبلونة وبسكاية،وكانوا يحاولون دائما الاستقلال وعدم خضوعهم لأى قوة خارجية،وساعدتهم وعورة أراضيهم والجبال الشاهقة في ذلك، أنظر:

محمود سعيد عمران: تاريخ أوربا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٦م،ص١٧٥.

ألفونسو من المعركة تاركاً عاصمته أفييدوا Ovieda للمسلمين[١]. وهكذا فقد أظهر ابن عذاري الإفرنج وزعيمهم ألفونسو الثاني امتلاكهم مهارة في التكتيك العسكري في أثناء القتال، ومن ثم نجاح المسلمين في إلحاق الهزيمة بهم يعني بلا شك أن المسلمين أكثر دراية في هذا المجال.

في عام ٢٠٠هـ/٨١٦م أشار ابن عذاري إلى إحدى الوقائع الشهيرة بين ألفونسو الثاني والمسلمين بعد أن وصل الجيش الاسلامي تجاة القلاع الغربية حتى وصلوا إلى نهر أرون Oron وأقاموا معسكرهم على ضفته ، وعلى الضفة الأخرى أقام ألفونسو معسكره ونشب القتال بين الطرفين، وقد فشل أي من الفريقين في الوصول إلى نصر حاسم ورجع المسلمون إلى الجنوب، وقد اتفق ابن الأثير وابن الخطيب مع ما ذكره ابن عذاري حول تلك المعركة، وإن كان ابن عذاري قد فاقهم في روايته عن التحركات العسكرية التي مارسها ألفونسو في تلك المعركة [٢].

وفي حملة إسلامية أخرى كانت زمن الأمير عبد الرحمن الثاني (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢- ٨٥٢م)[٣] ، ذكر ابن عذاري أن القائد المسلم عبد الكريم بن عبد

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢ ص ٦٤- ٦٥؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص ٣١٧؛ ابن الأثير : الكامل،ج٥، ص ٣٠، راجع أيضاً: محمد نايف عمايرة: مراحل سقوط الثغور الأندلسية في يد الإسبان ، ب ن،١٩٩٩م،ص ٥٩.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢ ص ٧٥ ؛ ابن الأثير الكامل،ج ٦ ، ص ٣١٨ ؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام،: ليفي بروفنسال، بيروت ١٩٥٦م، ج١، ص ١٥. راجع أيضاً: إبراهيم بيضون: الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة،دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٨م،ص ٢٢٩.

(٣) هو عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ولد في عام ١٧٦هـ/٧٩٢م ، وعندما توفى والده الأمير الحكم بن هشام في أواخر عام ٢٠٦هـ/٨٢٢م تمت البيعة له بالأمارة في قرطبة ليصبح رابع الأمراء الأمويين في =

الواحد أتجه بالقوات نحو إقليمي ألبة والقلاع Casilla عن طريق ممر جرنيق أو جرينو Los Puertos de Herrench وكان النصر فيها حليف المسلمين ، وإن كان قد جانب الصواب ابن عذاري عندما أطلق عليها غزوة ألبة والقلاع إذ إن الغزوة لم تدخل القلاع بل ألبة فقط(١).

في عام ٢٣١هـ/ ٨٤٦ م ، أرسل الأمير عبد الرحمن الثاني ابنه محمد على رأس حملة وصلت إلى ليون Leon فحاصرها ورمى أسوارها بالحجارة، وقد ظل يحاول هدم أسوارها، ولكنه فشل في ذلك لسماكته إذ بلغ عرضه سبعة عشر ذراعاً*، بينما قدره ابن خلدون بثمانية عشرة ذراعاً(٢) ، مما يدل على براعة التحصينات

=

الأندلس، ولقب بعبد الرحمن الأوسط ، وفي عهده حدثت غارات النورمان على الشواطىء الغربية للأندلس، وذلك في عام ٢٢٩هـ/٨٤٣م، وليبدأ بعدها في إنشاء دور لصناعة السفن ، لينجح أسطوله في فتح جزر البليار الكبرى(ميورقة–منورقة– يابسة) ، ومن أعماله الشهيرة بناء جامع إشبليه، للمزيد من التفاصيل:

ابن عذاري: البيان المغرب،ج٢، ص ٧٧–٨٢ ؛ المقري: نفح الطيب،ج ١، ص ٣٤٧.راجع أيضاً: رينهارت دوزي: المسلمون في الأندلس، ج٢، إسبانيا الإسلامية،ترجمة:حسن حبشي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة ١٩٩٤م، ص ٣٤.

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢ ص ٨٢ ؛ المقري : نفح الطيب ،ج١، ص ٣٤٤–٣٤٥.راجع أيضاً: السيد عبد العزيز سالم:تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس"من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة""، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية١٩٩٧م، ص ٢٤٠.

* حوالي تسعة أمتار.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢ ص ٨٨؛ المقري: نفح الطيب ،ج١، ص ٣٤٦ ؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: خليل

=

العسكرية التى أقامها الإفرنج ، واهتمامهم المتزايد بهذا الشأن، وهو الأمر الذي لفت انتباه كتاب البيان المغرب دون غيره من المصادر التي أشارت للحدث.

يتحدث ابن عذاري عن محاولة الملك أردونيو الأول Ordono I إثارة الثوار في طليطلة، لينقل الصراع داخل أراضي المسلمين، فأمد الثوار بجيش من أشتوريس والبشكنس تحت قيادة شقيقه ذكره ابن عذاري تحت اسم غثون Gaton ، مما دفع بالأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني(٢٣٨- ٢٧٣هـ/ ٨٥٢- ٨٨٦م)[١] إلى قيادة جيش بنفسه في ٢٤٠هـ/٨٥٤م، التقى فيه بالجيش الإسلامي الإفرنجي المتحالف في وادي سليط Gaudacelete أحد فروع نهر تاجة ، وانتصر الأمير محمد انتصاراً باهراً ، وفي الوقت الذي ذكر فيه أن قتلى الإفرنج قد بلغوا ثمانية آلاف [٢] وجدنا ابن خلدون يذكر أن عددهم عشرون ألف ، بل إن مؤرخاً مجهولاً بالغ في ذلك وذكر أن العدد بلغ مائة وخمسة وأربعين ألفاً ، ونظراً لوجود رواية إسبانية مستمدة من أشهر حوليات

=

شحاده، مراجعة:سهيل زكار، ج ٤، دار الفكر، بيروت ٢٠٠٠م، ص٤٣.راجع أيضاً: السيد عبد العزيز سالم:تاريخ المسلمين وآثارهم، ص ٢٤٢.

(١) ولد محمد ابن الأمير عبد الرحمن الثاني، بقرطبة في عام ٢٠٧هـ/٨٢٣م، وقد ولاه والده على سرقسطة، وشارك معه في غزوة بنبلونة عام ٢٢٨هـ/ ٨٤٤م ، وقد تولى الإمارة بعد وفاة والده عام ٢٣٨هـ/٢٧٣م ويعد خامس أمراء الأمويين في الأندلس، وقضى معظم فترات إمارته في مقاومة الثورات والاضطرابات المتلاحقة في عهده، وأهتم كذلك بتحصين الثغور فبنى حصن "شنت إشتبين" لحماية مدينة سالم، وكان محباً للعلماء حامياً لهم من أمثال: عباس بن فرناس وابن عبد ربه، للمزيد من التفاصيل أنظر:
ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢ ص ٩٧؛ مؤرخ مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس،ص ١٣١ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، ص ١٩٢؛ المقري : نفح الطيب،ج١، ص٣٣٤.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢ ص ٩٥

تلك الفترة وهي حولية رودريجو Rodrigo تذكر أنهم ثمانية آلاف فقط [١] من ثم يكون ما ذكر في كتاب البيان المغرب هو الأقرب للصواب.

يشير كتاب البيان المغرب أن ألفونسو الثالث AlfonsoIIIملك أشتوريس(٢٥٢- ٢٩٧هـ/٨٦٦- ٩١٠م) والملقب بالامبراطور الكبير" المعظم" El Magno[٢] قام في عام ٢٨٠ه/ ٨٩٣م بالتوجة إلى مدينة سمورة Zamora [٣] حيث أخرج المسلمين منها وقام بإعادة بنائها، وإعمارها بالسكان[٤] وإذ كان من المعروف عن ألفونسو الثالث كان يرغب في توسيع حدود مملكته الجنوبية الشرقية على حساب المسلمين بل وتحصين القلاع لمواجهتهم ، وهو ما تحدثت عنه الحوليات مثل: حولية الملك ألفونسو العاشر Alfonso X و حولية رودريجوRodrigo(٥) ، وبذلك ينجح ابن

---

(١) ابن خلدون: العبر ، ج٤ ،ص ١٦٧ ؛ مؤرخ مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس، ص ١٣٢. أيضاً: Rerum in Hispania Gestarum ،Cron.Del Rodrigo Chronicon،ed.De lafuensanta،Madrid)،1893 ، p. 296

راجع أيضاً: عبد المحسن طه رمضان: الحروب الصليبية في الأندلس، ص ٤٥٣.

(٢) عندما توفي أردونيو ملك قشتالة في عام ٢٥٢هـ/٨٦٦م ،كان ابنه الفونسو غائباً عن العاصمة أوفييدو، وعندما علم عاد مسرعا وكان يبلغ حينذاك الثمانية عشرة من عمره، ليتولى العرش ، أنظر: انتصارمحمد الدليمي:التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس في الفترة من ٣٠٠-٣٦٦هـ/٩١٣-٩٧٦م، رسالة ماجستير غير منشورة،كلية الآداب ،جامعة الموصل ٢٠٠٥م، ص ٧٦.

(٣) سمورة من أوائل المدن التى فتحها العرب وأسكنوها جماعات من المسلمين معظمهم من البربر،حتى استردها الفونسو الثالث، أنظر:ابن الأبار: الحلة السيراء،ج٢، ص ٣٦٩.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢ ص ١٢٤

(٥) Que Mando Componer ،Primera Cronica General de España Alfonso El Sabio y su continuaba bajo Sancho iv en Bailly-،2 Tomos،publicada por R.M.Pidal،1289

=

عذاري في تسجيل معلومات في غاية الأهمية عن أحد الملوك ، ومن ثم إيراد معلومة حضارية مهمة عن هؤلاء.

وأشار كذلك إلى أمر آخر عن الحكام مثل وفاة ألفونسو الثالث الذي ذكر وفاته في عام ٢٩٩ه/٩١٠م ، وأن ابنه غرسيه Garcia خلفه على الحكم (١) ، وقد جانبه الصواب في هذا التاريخ ؛ لأن ألفونسو الثالث كان قد مات في مدينة سمورة في العشرين من ديسمبر عام ٩١٠م الموافق عام ٢٩٧ه(٢)

نجح ابن عذاري في إظهار تفاصيل ما عرف بمعركة شنت أشتبينSanesteban (٣)، التي دارت رحاها عندما أرسل الأمير عبد الرحمن الناصر(٤) حملة حاصرت

=

p.378. Cron.Del ،1906،Madrid،Editores،BailliereEhijos p.298،op.cit.،Rodrigo

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ٢ج ، ص ١٤٩

(٢) عبد المحسن طه رمضان: الحروب الصليبية في الأندلس، ص ٥٠١.

(٣) شنت أشتبين هي قلعة حصينة تقع على الطرف الشمالي لنهر دويرة ، وتسمى أيضاً بقلعة قاشتروموروش ، أنظر:

الحميري: الروض المعطار، ص ٦٠.

(٤) هو عبد الرحمن الناصر بن الأمير محمد بن عبد الله بن محمد ، ولد عام ٢٧٧هـ/٨٩١م، وهو ثامن حكام الدولة الأموية التي أسسها عبد الرحمن الداخل في الأندلس، حيث تولى الإمارة في عام ٣٠٠هـ/٩١٢م، وعندما أعلن قيام الخلافة في قرطبة في عام ٣١٦هـ/٩٢٨م أصبح أول خلفائها ، وعرف بعبد الرحمن الثالث،ومن أبرز أعماله التصدي للعديد من الثورات وأبرزها تلك التي تزعمها عمر بن حفصون وولده جعفر فيما بين عامي ٣٠٣-٣٠٨هـ/٩١٥-٩٢٠م، إعادة صياغة وتأسيس مدينة الزهراء، فأصبحت لقرطبة في عهده مكانة مهمة من الناحية الحضارية، ونجح في توطيد علاقته بأعداء الفاطميين فتحالف مع هيو أوف بروفانس Hugh of Provance ملك المملكة اللمباردية في شمال إيطاليا، وبذلك نجح في إبعاد خطر الفاطميين عن الأندلس، وقد توفي في مدينة الزهراء في عام ٣٥٠هـ/٩٦١م أنظر:

=

حصن المنيع المعروف باسم شنت أشتبين ، وقبيل سقوطه في أيدى المسلمين، لولا مجيء الملك أردونيو الثاني Ordono I I ، الذي وضح من البداية اهتمامه بحركة الإسترداد ، وعندما نقل عاصمته من أوفييدو Oviedo إلى ليون Leon في عام ٣٠١هـ/ ٩١٤م تغير اسم المملكة من أشتوريس إلى مملكة ليون [١] ، وبالفعل قرر أردونيو الثاني نجدة الحصن ، ومع تفوق المسلمين العددي، إلا أن أردونيو هزمهم، وقتل قائدهم ابن أبي عبده، وغطت المنطقة بقتلاهم وأشلائهم ، وتبع ذلك دخول أردونيو إلى مدينة ناجرة [٢] حيث عاث فساداً وأحرق الزرع بل والمسجد الجامع هناك[٣]. ولا شك أن ابن عذاري رسم صورة شديدة الهمجية لأحد قادة الإفرنج ، وهو الملك أردونيو الثاني بما قام به من أفعال تدل على روح التعصب الصليبية في تلك الفترة.

=

المقري : نفح الطيب،ج١،ص٣٧٩،أبو الفدا: مختصر أخبار البشر، ٤أجزاء، ج١،القاهرة ١٩٠٧م،ص ٩٦ ،راجع أيضاً: ليفي بروفنسال:تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح حتى سقوط الخلافة القرطبية(٧١١-١٠٣١م) ، ترجمة:على عبد الرؤوف وآخرون،المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة ٢٠٠٠م،ص ٤٠٦؛ انتصارمحمد الدليمي: التحديات الداخلية والخارجية، ص ٩٢.

(١) محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، ص ١٣.

(٢) ناجرة مدينة تقع شرق الأندلس على نهر أبرو، وتعد من أعمال تطيلة، أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥،ص ٢٥٠.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢ ص ١٧١، راجع أيضاً: رينهارت دوزي: المسلمون في الأندلس، ج٢، إسبانيا الإسلامية، ترجمة: حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة ١٩٩٤م، ص ٢٤.

الجدير بالذكر، أن البيان المغرب أشار إلى قيام سانشو الأول" شانجة " ملك نافار بمهاجمة حصن بقيرة [١] والاستيلاء عليه وعلى المتحصنين فيه ، ثم قتلهم في النهاية وذلك في ٣١١هـ/٩٢٣م[٢] ، وفي ذلك دليل على أن مملكة ليون لم تستأثر بمفردها بمقاومة المسلمين بل كان للمملكة نافار نصيب في ذلك أيضاً.

عندما قاد عبد الرحمن الثالث قواته عازماً مهاجمة حصن قلقرة الذي بناه سانشو" شانجه" وهدد به سكان تطيلة، التقى العاهلان عند بنبلونة، وأفاض ابن عذاري في الحديث عن القتال الذي دار هناك وانتهى بانتصار المسلمين وفرار سانشو، وانفرد بذكر المعركة، التي أطلق عليها كتاب البيان المغرب اسم" غزوة بنبلون" وذلك في عام ٣١٢هـ/٩٢٤م[٣] ، ليواصل ابن عذاري رسم صورة للحياة الحربية عند الإفرنج .

---

(١) بقيرة حصن بناه لب بن موسى بن قسي في بداية النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وكان هذا الحصن من معاقل بن قسي في الثغر الأعلى، أنظر:
العذري: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية ،مدريد ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، ص ٣١.

(٢) ذكر أبن عذاري ان الوحيد الذي نجا من القتل كان مطرف بن موسى بن ذي النون، الذي نجح بالفرار من سانشو، أنظر:
ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢ ، ص ١٨٥، راجع أيضاً:
خليل إبراهيم السامرائي:الثغر الأعلى الأندلسي، بغداد ١٩٧٦م،ص ١٨٥.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢ ، ص ١٨٨ ؛ إسماعيل بن إبراهيم بن أمير المؤمنين: تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط من خلال مخطوط" تاريخ الأندلس" تحقيق: أنور محمود الزناتي، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة ٢٠٠٧م، ص ٥٠ .

أورد كتاب البيان المغرب أن عبد الرحمن الناصر قام بأول غزواته على بلاد الإفرنج وفتح حصن ممقر من ثغر برشلونة ، وكيف أرسل ألفونسو بن أردون الملقب بابن البربرية وخاله سانشو بن غرسيه أمير جليقية الرسل للصلح[١]..

أشار البيان المغرب إلى أن الإفرنج نجحوا في الاستفادة من خلافات ونزاعات ملوك الطوائف[٢] وبخاصة ما بين المأمون أمير طليلطلة و سليمان بن هود أمير سرقسطة[٣] ، وهو ما حدث بالفعل ، إذ يذكر ابن عذاري أن المأمون أرسل سفارة في عام ٤٣٧ه/١٠٤٥م إلى الملك فرناردو الأول Fernando I (٤٢٦- ٤٥٧ه/١٠٣٥-١٠٦٥م) ، الذي كان قد نجح في ضم مملكتي قشتالة وليون تحت سيطرته [٤] ، إذ طلب المأمون من فرناردو المساعدة العسكرية مقابل الاعتراف بسيادته ودفع الجزية ، وافق فرناردو وأرسل قوة عسكرية توغلت في أراضي سليمان ، وكان وقت حصاد المحصول ، فقام بعمليات نهب وسلب وقتل ، لنجد سليمان يتخاذل ويرسل الهدايا

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣ ، ص٤-٥.

(٢) هي فترة تاريخية في الأندلس بدأت بحدود عام ٤٢٢هـ/١٠٣١م عندما أعلن سقوط الدولة الأموية وعزل آخر خلفائها هشام الثالث المعتد بالله، وصار الأمر شورى بين الوزراء وأطلق عليهم الجماعة، وانقسمت الأندلس إلى دويلات صغيرة متنازعة ، واستقر كل أمير بمنطقته وأعلن نفسه ملكاً ، وأطلق على هذا العصر عصر ملوك الطوائف أو عصر الفرق، أنظر:
أحمد مختار العبادي: التاريخ العباسي و الأندلسي،دار النهضة العربية،بيروت د.ت.ص ٤٦٤-٤٦٥.

(٣) بدأ هذا الصراع في عام ١٠٤هـ /٤٤٣٦م بهجوم أحمد بن سليمان على المناطق الواقعة بين قلعة أيوب حتى وادي الحجارة، للمزيد من التفاصيل ، أنظر:
محمد محمود النشار: حركة الإسترداد، ص ٣٣١-٣٣٢.

(٤) عبد الوهاب خليل الدباغ:سرقسطة"بوابة الأندلس الشمالية في عصر بني هود" ٤٣٠-٥٠٣ه/١٠٣٨-١١٠٩م، دراسة سياسية، صفحات للدراسات والنشر،٢٠١٢م، ص ٧٤.

القيمة والأموال لفرناندو[١] ، وقد واصل فرناندو هجماته على الأراضي الإسلامية فوصل إلى قلعة النهر Al cala de Henaree ، و عندما قرر فرناندو فرض شروط مالية تعجيزية على الأمراء المسلمين وفشلوا في تدبيرها، يذكر ابن عذاري ما قاله فرناندو "اتركوا لنا بلادنا ، لا خير لكم في سكناكم معنا بعد اليوم"[٢] ، وما ذكره يعد إشارة مهمة في أن سياسة فرناندو الأول لم تكن الانتصار على المسلمين فحسب، بل طردهم من شبه الجزيرة الإيبرية بأكملها ، معتبراً إياهم محتلين لها.

واصل فرناندو الأول نشاطه العسكري في ٤٥٢ه/١٠٦٠م عندما حاصر القلاع المجاورة لوادي الحجارة Guadalajara[٣] ، واضطر المسلمون إلى الخضوع وتقديم الهدايا لفرناندو، الذي عاد محملاً بالغنائم، وأعطى الكثير منها للأديرة والكنائس[٤] ، و في عام٤٥٦ه/١٠٦٤ م تقدم فرناندو بحملة كبرى راغباً في الاستيلاء على مدينة قلمرية Calmbta [٥] وهي مدينة لها مكانة دينية مهمة لدى المسيحيين ، وكان الملك متمسكاً بالجانب الديني في حملاته ، فزار قبر القديس يعقوب في مدينة شنت ياقب ،

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص ٢٧٨

(٢) السابق، ج ٣ ، ص ٢٨٢.

(٣) تقع وادي الحجارة شمال شرق مدريد وتعرف بمدينة الفرج ، وبينها وبين قرطبة خمسة وستون ميلاً ، وهي مدينة كثيرة الأرزاق،مليئة بالغلات ولها أسوار حصينة، أنظر:
الحميري:المصدر السابق،ص ٧١.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣ . ص ٣٣٨.راجع أيضاً:
يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين،ج١، القاهرة١٩٤٠م،ص١٥.

(٥) مدينة قلمرية تقع شمال غربي الأندلس ، تقع على جبل مستدير وعليها سور حصين ولها ثلاثة أبواب ، كثيرة الكروم والتفاح، أنظر: الحميري: صفة جزيرة الأندلس،ص١٦٤.

قبل توجهه إلى قلمرية، وفي أثناء حصاره لها أمده دير لورفانLorvan بما يحتاج إليه من طعام، ومع أن المدينة قد استسلمت إلا أن فرناندو اقتحمها وأقام مذبحة لسكانها المسلمين، بعد أسر ما يقرب من خمسة آلاف شخص(١)، ولعل ما أشار إليه المؤرخ فيدال Vidal بأن الظروف المحيطة بفرناندو وما فعله قبيل وبعد مهاجمته لقلمرية يدل على تمكن الروح الصليبية منه في تلك الفترة(٢) ، وأي كانت دوافع فرناندو من تلك الهجمات إلا أن إشارات البيان المغرب دليل على تمسك ملوك الإفرنج بإظهار تدينهم وصبغ ما يقومون به من هجمات ضد المسلمين بالصبغة الدينية.

واصل كتاب البيان المغرب سرده عن الإفرنج ، مشيراً أنه في أثناء عصر المرابطين(٤٧٩- ٥٤١ه/١٠٨٦- ١١٤٧م)، حدثت أشهر المعارك على أرض الأندلس في عام ٤٧٩ه/ ١٠٨٦م وهي معركة الزلاقة Sagrajas (٣)وجاءت نتيجة لسقوط طليطلة في يد ملك قشتالة وليون ألفونسو السادس

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣ ،ص ٢٣٩

(٢) S.S، Hispaña Historia Politica Cultural de España، Barcelona، 1979، p. 82،

(٣) الزلاقة بطحاء من إقليم بطليوس في غرب الأندلس، على أحد فروع نهر وادي يانه، والمعروف باسم ساجر خاس Sagrajas وتعني الزلاقة المكان الذي يفيض فيه النهر،وهي تبعد أربعة فراسخ من بطليوس، للمزيد أنظر:

أبن أبي زرع : ٧٢٦هـ/١٣٢٦م أبو الحسن علي بن عبد الله ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ، وتاريخ مدينة فاس ، الرباط ١٩٧٢م ، ص-ص ٨٢ ، ٩٧ ؛ ابن الأبار:الحلة السيراء،ج٢،ص ١٠١ ؛ عبد الواحد المراكشي : ت٦٦٩هـ/١٢٧١م، محي الدين عبد الواحد بن علي ، " المعجب في تلخيص أخبار المغرب" ، تحقيق : محمد سعيد العريان ، القاهرة ١٩٦٣م ، ج٣ ، ص١١٩ ؛ مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية،حققه: سهيل زكار،عبد القادر زمامة =

Alfonso VI [(١)] ، وانهزم فيها ألفونسو وفقد العديد من الإفرنج في تلك المعركة بعد أن لاقوا هزيمة مروعة على يد يوسف ابن تاشفين[(٢)].

=

،دار الرشاد الحديثة ،الدار البيضاء،١٩٧٩م،ص١٢١؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٣،ص١٤٦؛ المقري : ت١٠١هـ / ١٦٣١م ، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني ، " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ص٣٦٤.

راجع أيضاً: سحر السيد عبد العزيز سالم:من جديد حول وقعة الزلاقة، ندوة الأندلس الدرس والتاريخ ،كلية الآداب ،جامعة الإسكندرية ١٩٩٤،ص ٣.

(١) كان الفونسو شقيقاً للملك سانشو وتولى حكم المملكة عقب وفاة أخيه في عام ٤٥٧هـ/١٠٦٥م، وعقب ضم قشتالة وليون تحت سيطرته، نجح في بسط نفوذه على الممالك الشمالية،ونجح في الاستيلاء على طليطلة في عام ٤٧٨هـ/١٠٨٥م ، أنظر:

ممدوح حسين: الحروب الصليبية في شمال أفريقيا وأثرها الحضاري،٦٦٨-٧٩٢هـ، دار عمار،عمان ١٩٩٨م، ص ١٣١.

(٢) في أواخر عصر ملوك الطوائف في الأندلس ، تعرضت البلاد لفوضى عارمة نتيجة الصراع الداخلي بين الأمراء المسلمين ، ومع نجاح الفونسو السادس في الاستيلاء على طليطلة عام ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، استنجد أهالي الأندلس بالمرابطين وزعيمهم يوسف بن تاشفين ، الذي وصل بقواته وبمساندة العديد من زعماء الأندلس وعلى رأسهم المعتمد بن عباد أمير إشبليه ، حيث نجح في إلحاق هزيمة مروعة بألفونسو السادس ملك قشتالة وأراجون ، وذلك في معركة الزلاقة في ١٢ رجب ٤٧٩هـ/٢٣ اكتوبر ١٠٨٦م، أنظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ج٤ ، ص ١٣٠-١٣٢؛ المقري : نفح الطيب، ج١، ص ٣٦٠؛ ابن الكردبوس : الاكتفاء في أخبار الخلفاء،ص ٩٦ ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص٩٥-٩٦، للمزيد من التفاصيل عن معركة الزلاقة ونتائجها ، أنظر: شوقي أبو خليل: الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص٤٢-٤٣ ؛حامد محمد خليفة: يوسف بن تاشفين موحد المغرب ، وقائد المرابطين ومنقذ الأندلس من الصليبيين، دار القلم ، دمشق ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٢٢٣-٢٤٠.

يروي ابن عذاري في البيان المغرب ، ما حدث لمدينة بلنسيه Valencia [١] على يد الإفرنج عندما اقتحمها قائدهم روجريدو دياز بيبار الملقب بالسيد الكمبياطورRogrido Diaz de Vivar El Cid Campeador [٢] وما أحدثه من مذابح رهيبة للمسلمين وهدم للمساجد بالمدينة، ووصفه للإفرنج بالسفاحين الذين لم يراعوا أي مشاعر إنسانية ،عندما اقتحموا بلنسيه في عام ٤٨٥ه/١٠٩٢م [٣] و ترجع أهميه ما ذكره ابن عذاري عن الإفرنج وما أحدثوه في بلنسية ، هي اعتماده في تلك المعلومات على أحد أهم المصادر الأندلسية المفقودة ، وهو كتاب "ابن علقمة

---

(١) بلنسيه مدينة تقع شرق الأندلس، بينها وبين البحر المتوسط ثلاثة أميال، وهي قاعدة من قواعد الأندلس الشهيرة، بها أسوار وتجارات وهي على نهر جار ينتفع بها، ويسقي المزارع، وبها بساتين وجنات، للمزيد، أنظر:

الإدريسي: صفه المغرب وأرض السودان ومصر و الأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، امستردام ١٩٦٩م،ص ١٩١، راجع أيضاً:

السيد عبد العزيز سالم: تاريخ وحضارة الأندلس، الإسكندرية ١٩٨٥م،ص ٨٩-٩٠.

(٢) روجريدو هو فارس من قشتالة، عاصر العديد من الملوك الإفرنج وأبرزهم: فرديناند الأول وولديه سانشو الثاني وألفونسو السادس ، ولقب بالسيد الكمبياطور، وهي كلمة مأخوذة من الكلمة العربية سيد Cid مضاف إليها أدة تعريف الأسماء المذكرة في ية EL ، أما كمبياطور Campeador فهي مأخوذة من اللاتينية الدارجة ، التي تعني "رئيس فنون القتال" ، واشتهر باشتراكه في عدة حروب ضد ملوك الطوائف المسلمين ، وبخاصة في سمورة وسرقسطة في عام ١٠٦٣م، وعندما اختلف معه فرديناند الأول نفاه الأخير خارج قشتالة، فذهب إلى سرقسطة حيث عاش وسط المسلمين ، وتكلم العربية هناك، وعمل في خدمة بني هود وأميرهم المؤتمن بن يوسف – أمير شمال الأندلس– ونسجت حوله العديد من الأساطير ووصف بأنه أحد أبطال حرب الإسترداد في إسبانيا، وقد توفي روجريدو في عام ١٠٩٩م ، للمزيد أنظر: حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب و الأندلس، دار الرشاد ، القاهرة ١٩٩٧م،ص ٤٢٣-٤٢٤- خليل السامرائي .

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٤ ،ص٣٥-٣٨.

البلنسي(ت٥٠٩هـ/١١١٦م). المعنون باسم" البيان الواضح في الملم الفادح"، وكان من أهل بلنسية وشاهد عيان على ما حدث فيها من مذابح ، وهو ما ذكره ابن عذاري بقوله :"ممن شهد الموطن وكان في الحصار"[١].

واصل ابن عذاري حديثه عن الإفرنج زمن الموحدين (٥٤١-٦٦٨هـ/١١٤٧- ١٢٦٨م) ، وكيف قرر الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور(٥٨٠- ٥٩٥هـ/١١٨٤- ١١٩٩م) استرداد قلعة رباح[٢] من أيدي ملك قشتالة ألفونسو الثامن Alfonso VIII[٣] وذلك في عام ٥٩١هـ/١١٩٥م ، وعندما استنجد الأخير بإخوانه من الملوك لم ينجده أحد، والتقى الجيشان قرب حصن الأرك Alarcos[٤] وانتصر المسلمون انتصاراً كاسحاً ، وقد نجح ابن عذاري في وصفها وصفاً

---

(١) السابق، ج٤،ص ١٤٨. وللمزيد من التفاصيل عن بلنسيه، أنظر: كمال السيد أبو مصطفى:مدينة بلنسيه الأندلسية في العصر الإسلامي،منشور في كتاب (دراسة في التاريخ السياسي والحضاري) ،مركز الإسكندرية للكتاب،١٩٩٥م.

(٢) تقع قلعة رباح على وادي أدنه شرق قرطبة، وجنوب طليطلة، وسميت على اسم التابعي علي بن رباح اللخمي، الذي لعب دوراً هاماً في فتح الأندلس، أنظر:
المقري: نفح الطيب،ج١، ص ٢٧٨، الحميري:الروض المعطار، ص ٤٦٩.

(٣) عندما توفي ملك قشتالة الفونسو السابع Alfonso VII المعروف باسم ريموندس Alfonso Raimundez في عام ١١٥٧م/٥٢٢هـ ، قسمت مملكته بين ولديه الأول سانشو ملك قشتالة، والآخر فرناندو ملك ليون وجليقيه وأشتوريس ، ليدخل الأخوان في معارك طاحنة فيما بينهم، مات سانشو في أثناء ذلك فجأه، مما أدى لتحكم ألفونسو في كل الأملاك تحت اسم ألفونسو الثامن ، وذلك في عام ١١٦٦م، أنظر:
أحمد مختار العبادي: صور من حياة الحرب والقتال، ص ٢٢٨.

(٤) هو حصن منيع يقع على أحد فروع نهر وادي شمالي قلعة رباح أول الحصون التى أقامها بالأندلس، ويطلق عليه اليوم Santamaria de alacos ، ويقع قرب مدينة ثيوداد رباله حالياً. أنظر:

=

رائعاً، بعد ما شبه قتلى الإفرنج بأنهم كانوا مبعثرين بالألاف على أرض المعركة كانهم زرع تم حصاده من قبل المسلمين(١).

كان ابن عذاري أكثر مؤرخي جيله تفصيلاً للمعركة الشهيرة المعروفة باسم العقاب La Navas de Tolos (٢)، الذي انتصر فيها الإفرنج بقيادة ملك قشتالة ألفونسو الثامن على الخليفة الموحدي محمد الملقب بأبي عبد الله الناصر لدين الله(٥٩٥-

=

الحميري: الروض المعطار، ص ٢٧. راجع أيضاً:

قتيبة على إبراهيم سمور: العلاقات الحربية بين الموحدين والممالك في شمال الأندلس"٥٤٣-٦٢٠هـ/١١٤٥-١٢٢٥م"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية ١٩٩٦م، ص ١٣١.

(١) دارت معركة حصن الأرك يوم الأربعاء التاسع من شعبان عام ٥٩١هـ/التاسع عشر من يوليو ١١٩٥م، ونتج عنها فقدان الآلاف من المقاتلين الإفرنج، ونجح الخليفة الموحدي أبو يوسف في الاستيلاء على العديد من حصون الإفرنج وأبرزها قلعة رباح التي استردها المسلمون من الإفرنج بعد أن ظلت في أيديهم ما يقرب من إحدى وخمسون عاماً، للمزيد من التفاصيل، أنظر:

ابن عذاري: الجزء الخاص بالموحدين، ص ٢١٩-٢٢٠؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص ٢٢٩؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٢٧ ، وللمزيد من التفاصيل عن معركة الأرك،راجع أيضاً:

داليا عبد الهادي طلبة: رؤية المغاربة لنصارى الأندلس في ظل حروب الإسترداد واحتلال الثغور المغربية، منشور في مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب ،حصاد ٢١، القاهرة ٢٠١٣م، ص ١٧٥.

(٢) أطلق على تلك المعركة أيضاً معركة الموردال Batalla del Moradal، وهو اسم المعبر أو الممر الجبلي في جبال الشارات Sierra Morena الذي يؤدى إلى سهل الأندلس حيث العواصم قرطبة وأشبلية وقادس وغيرها ، أنظر:

الحميري: الروض المعطار، ص ٤١٦؛الناصري: الاستقصا لأحياء دول المغرب الأقصي، تحقيق:جعفر الناصري وآخرون،ج ٢،مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء ١٩٥٤م،ص ٣٢٣.

١١٩٩/٥٦١٠- ١٢١٣م) ، وذلك في عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م[١]، وكان ما ذكره عن وجود جنود مرتزقة من الإفرنج من قشتالة عملوا في الجيش المرينى أواخر القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي[٢] وهي من الأمور المهمة التي واصل البيان المغرب إشارته عنها مما يدل على وجود تمازج حضاري بين المسلمين و الإفرنج في شبه الجزيرة، وهذا التمازج دفع بابن عذاري إلى تعريب أسماء الإفرنج مثل: الأدفونش ويقصد ألفونسو، شانجة ويقصد سانشو، و فرولش ويقصد به فرناندو، غيرها من الأسماء الأخرى، وإن كان من الملاحظ أنه حاول في بعض الأحيان تعمد إهانة زعماء وقادة الإفرنج ، والتقليل من شأنهم ، مثلما حدث عندما أطلق عليه العلج تيودومير، و يؤخذ عليه عدم الإشارة إلى بعض من مظاهر نمط الحياة عند الإفرنج فيما يخص ماكانوا يرتدونه من ملابس على سبيل المثال.

---

(١) ابن عذاري: القسم الخاص بالموحدين،ص ٢٣٥؛ المقري: نفح الطيب،ج١،ص٤٢٥

(٢) جرت معركة العقاب في ١٥ صفر ٦٠٩هـ/١٦ يونيو ١٢١٢م، حيث نجح ألفونسو الثامن في حصار المسلمين عن طريق جناحي جيشه الإفرنجي والمكون من قوات نافار وأراجون، وبالفعل نجح في ذلك وانتصر على القوات الإسلامية وسقط العديد من القتلى، ومنهم ابن الخليفة الموحدي الذي اضطر إلى الانسحاب إلى أشبليه ، ثم توجه إلى مراكش حيث توفي في بداية عام ٦١٠هـ/١٢١٣م، للمزيد أنظر:
ابن عذاري: البيان المغرب : القسم الخاص بالموحدين، ص ٢٣٥؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس،ص٢٣٨-٢٤٠؛ راجع أيضاً:
هشام أبو رميلة : علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، مطبعة دار النجاح، نابلس ١٩٨٤م،ص ٢٧٥-٢٧٦.

الخاتمة:

وفي الختام نأمل أن نكون قد قدمنا صورة واضحة المعالم عن الإفرنج بأبعادها الثلاثة الاقتصادي والاجتماعي والعسكري، التي تشكل بالتئامها صورة متكاملة عنهم في ذلك العصر، بينا من خلالها أهم أنشطتهم الاقتصادية، ووضحنا فيها مكانة المرأة وإسهاماتها في الحياة العامة، ولم نغفل الحديث عن أثر العامل الجغرافي في تكوين أخلاقهم وعاداتهم، وأثر التمازج بينهم وبين العرب في ظاهرة الزواج المختلط.

كما أسهبنا في الكلام على الجانب الحربي وتنظيمات الإفرنج العسكرية وتحصيناتهم، التي أقاموها لإنجاح خططهم في تحقيق هدفهم.

والمتصفح لصورة الإفرنج في كتاب البيان المغرب يجد أن مؤلفه اعتمد الصدق فيما قدمه، والدقة فيما وصفه، ولكن طغى عليه الإيجاز فيما كتب مقارنة بما دُوِّن في مصادر عربية آخرى.

وهو مؤرخ امتاز بدقة تتبعه لبعض الأحداث المصيرية، مع توثيق للمعلومات، الأمر يمكننا معه القول إنه أديب مثقف، ومؤرخ دقيق الملاحظة، أمين في نقله ومراجعه، ولم يُكثر من الحكايات والاستطرادات قدر ما فعله مؤرخون آخرون.

وفي النهاية نقول: إن الصورة التي رسمها كتاب البيان المغرب للإفرنج تعد صفحة جديدة ومهمه عن أحوال شبه الجزيرة في العصور الوسطى، ،نجح ابن عذاري في رسم ملامحها، وإخراج صورة بقلم مؤرخ يشعرك وكأنه شاهدها عياناً قبل أن يسردها بقلمه.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

[١] **ابـن الأبـار:** (أبـو عبـد الله محمـد بـن عبـد الله بـن أبـي بكـر القضـاعي) ت ٦٥٨ه/١٢٦٠م: الحلـة السـيراء ، تحقيـق: حسـين مـؤنس، ط٢، دار المعـارف ،القاهرة ١٤٠٦ه/١٩٨٥م.

[٢] **ابن الأثير:** (أبى الحسن على بن أبي الكرم محمد) ت ٦٣٠ه/١٢٣٢م: الكامل في التاريخ، ١٠ أجزاء، بيروت ١٩٨٧م.

[٣] **ابن أبي زرع:** (أبو الحسن على بن عبد الله بن ابي زرع الفاسي) ت ٧٤١ه/ ١٣٤٠م : الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ،دار المنصور، الرباط ١٩٧٣م.

[٤] **الإدريسي:** (أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله) ت ٦٥٠هـ/١٢٥٢م، صفه المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في إختراق الأفاق، إمستردام ١٩٦٩م

[٥] **إسماعيل بن ابراهيم بن أمير المؤمنين:** تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط من خلال مخطوط"تاريخ الأندلس"تحقيق: أنور محمود الزناتي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٧م .

[٦] ابن بسام: (أبي الحسن على بن بسام الشنتريني)ت ٨٦٦ه/١٤٦١م: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مج١، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة ،ق ٣، بيروت ١٩٩٧م

[٧] **ابن حزم:** (ابي محمد على ابن أحمد بن سعيد الأندلسي) ت ٤٥٦ه/١٠٦٣م: جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام هارون ، دار المعارف، القاهرة١٩٨٢م،

[٨] **الحميري:** (أبو عبد الله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم) عاش في القرن الثامن الهجري: صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، نشر وتصحيح وتعليق الحواشي : ليفي بروفنسال، ط٢ ، دار الجبل، بيروت١٩٨٨ م .

[٩] **ابن الخطيب:** ت ٧٧٦ه/١٣٧٤ : أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، : ليفي بروفنسال، بيروت ١٩٥٦م

[١٠] **ابن خلدون :**(عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨ه/١٤٠٦م). العبر وديوان المبتدأ والخبرفي تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، تحقيق: خليل شحاده، مراجعة: سهيل زكار، ج ، دار الفكر، بيروت ٢٠٠٠م،

[١١] **ابن عذاري:**(أبو العباس أحمد بن محمد بن عِذَارِي المَرَّاكُشِيّ) عاش أواخر القرن السابع إلى أواخرالنصف الأول من القرن الثامن الهجري:

[١٢] البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ٤ أجزاء، الأجزاء من ١ إلى ٣ تحقيق ومراجعة :الإنجليزي جورج كولان، والفرنسي ليفي بروفنسال، الجزء ٤ تحقيق ومراجعة: إحسان عباس، ط٣، دار الثقافة، بيروت ١٩٨٣م، القسم الموحدي، تحقيق : إبراهيم الكناني وآخرون ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٤ه/١٩٨٥م.

[١٣] **العذري:** (احمد بن عمر بن أنس) ت ٤٧٨ه/١٠٧٥م: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية مدريد ١٣٨٥ه/١٩٦٥م،

[١٤] **أبو الفداء:** (ت ٧٣٢ه/١٣٣٢م)عماد الدين إسماعيل: مختصر أخبار البشر، ط٤، ١ أجزاء، ج١، القاهرة ١٩٠٧م.

[١٥] **ابن القطان المراكشي:** (منتصف القرن السابع الهجري) : نظم الجمان وواضع البيان فيما سلف من أخبار الزمان ، درسه وقدم له وحققه: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، ١٤١٠ه/١٩٩٠م.

[١٦] **ابن القوطية:** (أبو بكر محمد القرطبي) ت٣٦٧ه/ ٩٧٧م: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب المصري، القاهرة ١٤١٠ه/١٩٨٩م .

[١٧] **ابن الكردبوس :** عاش في القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق: أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، مج ١٣ ، ١٩٦٦م.

[١٨] **ابن منظور:** (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي) ت ٧١١ه/١٢١١م:

[١٩] لسان العرب، ج٢، دار صادر، بيروت ١٩٩٧م.

[٢٠] **المراكشي:** محي الدين عبد الواحد بن علي ت ٦٦٩هـ/١٢٧١م : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، نشره الأستاذان: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، القاهرة ١٩٤٩م.

[٢١] **المقري:** (أحمد بن محمد التلمسأني) ت١٠٤١ه/ ١٦٣٣م:

[٢٢] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مج ١، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٦٨م

[٢٣] **مؤلف مجهول:** (عاش في القرن ٤ه/١٠م): أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت ١٩٨١م

[٢٤] **مؤلف مجهول:** الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، حققه: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٩م

[٢٥] **الناصري:** (أبو العباس احمد بن خالد) ت ١٣١٥ه/١٨٧٩م: الاستقصا لأحياء دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري وآخرون، ج ٢، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء ١٩٥٤م.

[٢٦] **ياقوت الحموي:** (أبو عبدالله شهاب الدين) ت ٦٢٦ه/١٢٢٨م: معجم البلدان، مج ٢، دار صادر، بيروت ١٩٧٧م.

ثانياً: المصادر الأجنبية:

[27] Cron.Del Rodrigo، Rerum in Hispañia Gestarum Chronicon، ed.De lafuensanta، (Madrid، 1893)،

[28] Cuesta، C.F.، Diccionaria de historia de España، ed.Alianza، (Madrid، 2005).

[29] Primera Cronica General de España، Que Mando Componer Alfonso El Sabio y su continuaba bajo Sancho iv en 1289، publicada por R.M.Pidal، 2 Tomos، BaillyBailliereEhijos، Editores، Madrid، 1906

ثالثاً: المراجع العربية والمعربة:

[٣٠] أحمد، أشرف يعقوب: الأندلس في عصر الولاه"٩١١٣٨هـ/٧١١٧٥٦م"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين ٢٠٠٤م.

[٣١] أبو خليل، شوقي: الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق ١٤١٣ه/١٩٩٣م.

[٣٢] أبو رميلة، هشام: علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، مطبعة دار النجاح، نابلس ١٩٨٤م

[٣٣] أبو مصطفى، كمال السيد: مدينة بلنسيه الأندلسية في العصر الإسلامي، منشور في كتاب (دراسة في التاريخ السياسي والحضاري)، مركز الإسكندرية للكتاب، ١٩٩٥م

[٣٤] أرسلان، شكيب: الحلل السندسية في الأخبار والاثار الأندلسية، ٢ جزء، المطبعة الرحمانية، القاهرة ١٩٣٦م.

[٣٥] أشباخ، يوسف: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج١، القاهرة١٩٤٠م.

[٣٦] الباشا، مهجة أمين: سقوط الأندلس"تاريخه وأسبابه، شراع للدراسات والتوزيع، دمشق ٢٠٠٢م.

[٣٧] بروفنسال، ليفي: تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح حتى سقوط الخلافة القرطبية(٧١١- ١٠٣١م)، ترجمة: على عبد الرؤوف واخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٠م.

[٣٨] بن إبراهيم، العباس: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، المطبعة الملكية، الرباط ١٩٦٧م.

[٣٩] بيضون، إبراهيم: الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٨م.

[٤٠] الجبالي، خالد حسن حمد: الزواج المختلط بين المسلمين من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط الخلافة، مكتبة الآداب، القاهرة ٢٠٠٤م.

[٤١] حجي ، عبد الرحمن: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة"٩٢- ٨٩٧ه"، دار التعلم - دمشق ١٤١٨ه/١٩٩٧م.

[٤٢] حسين، ممدوح: الحروب الصليبية في شمال أفريقيا وأثرها الحضاري، ٦٦٨- ٧٩٢ه، دار عمار، عمان ١٩٩٨م.

[٤٣] الحويري، محمود محمد: اللومبارديون في التاريخ والحضارة"٥٦٨- ٧٧٤م"، ط١، دار المعراف، القاهرة ١٩٨٦م.

[٤٤] خليفة، حامد محمد: يوسف بن تاشفين موحد المغرب ، وقائد المرابطين ومنقذ الأندلس من الصليبيين، دار القلم ، دمشق ١٤٢٤ه/٢٠٠٣م.

[٤٥] الدباغ ، عبد الوهاب خليل: سرقسطة "بوابة الأندلس الشمالية في عصر بني هود" ٤٣٠- ٥٠٣ه/١٠٣٨- ١١٠٩م، دراسة سياسية، صفحات للدراسات والنشر، ٢٠١٢م.

[٤٦] دبور، محمد علي: منهج ابن عذاري المراكشي ومصادره ، منشور في مجلة ندوة التاريخ الإسلامي، يصدرها قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة- العدد ٢١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م

[٤٧] الدليمي، انتصارمحمد: التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس في الفترة من ٣٠٠- ٣٦٦ه/٩١٣- ٩٧٦م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الموصل ٢٠٠٥م.

[٤٨] دوزي، رينهارت: المسلمون في الأندلس، ج٢، إسبانيا الإسلامية، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٤م.

[٤٩] الزركلي، خيرالدين: الأعلام، ، دار العلم بيروت، ط٧، د.ت.

[٥٠] زمامة، عبد القادر: مؤرخ المغرب والأندلس ابن عذاري المراكشي، مجلة أفاق الثقافة والتراث، مج ٥، الإمارات، مايو١٩٨٧م.

[٥١] رمضان، عبد المحسن: أشتوريس إحدى قوى المسيحية المناهضة لولاه الأندلس"٩٥- ١٢١ه/٧١٤- ٧٣٥م"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة عين شمس ١٩٧٩م.

[٥٢] الحروب الصليبية في الأندلس، "ميلادها وتطورها حتى القرن العاشر الميلادي"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ٢٠٠١م.

[٥٣] **سالم، سحر السيد عبد العزيز:** تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية ٢٠٠٥م.

[٥٤] من جديد حول وقعة الزلاقة، ندوة الأندلس والتاريخ، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية ١٩٩٤م.

[٥٥] سالم، السيد عبد العزيز: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس"من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة""، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٩٧.

[٥٦] تاريخ وحضارة الأندلس، الإسكندرية ١٩٨٥م.

[٥٧] السامرائي، خليل إبراهيم: الثغر الأعلى الأندلسي، بغداد ١٩٧٦م،

[٥٨] سعيد، عمران محمود: تاريخ أوربا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٦م.

[٥٩] سمور ، قتيبة على إبراهيم : العلاقات الحربية بين الموحدين والممالك في شمال الأندلس"٥٤٣- ٦٢٠ه/١١٤٥- ١٢٢٥م"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية ١٩٩٦م.

[٦٠] طلبة ، داليا عبد الهادي : رؤية المغاربة لنصارى الأندلس في ظل حروب الإسترداد واحتلال الثغور المغربية، منشور في مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب ، حصاد ٢١ ، القاهرة ٢٠١٣م.

[٦١] طه ، عبد الواحد ذنون : دراسات أندلسية، دار المدار الإسلامي، بيروت ٢٠٠٤م.

[٦٢] العبادي، أحمد مختار : صورة من حياة الحرب والجهاد بالأندلس ، منشأة المعارف، الإسكندرية ٢٠٠٠م.

[٦٣] التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت د.ت.

[٦٤] عبد الحميد ، طة عبد المقصود : موجز تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة، القاهرة ٢٠٠٤م.

[٦٥] عنان محمد عبد الله :

[٦٦] دولة الإسلام في الأندلس"العصر الثاني - دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي "، القاهرة ١٩٩٧م.

[٦٧] دولة الإسلام في الأندلس، ج١ ، من الفتح إلى بداية عهد الناصر، ط٤ ، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٩م،

[٦٨] كاسترو، أميركو : إسبانيا في تاريخها "المسيحيون والمسلمون و اليهود "، ترجمة : على إبراهيم منوفي، مراجعة : حامد أبو أحمد، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة٢٠٠٣م.

[٦٩] كحيلة ، عبادة عبد الرحمن: القطوف الدواني في التاريخ الإسباني القاهرة ١٩٩٨م

[٧٠] مدني ، صلاح: تاريخ العصور الوسطى في أوربا ،مطبعة الإنشاء، دمشق ١٩٧٣م

[٧١] معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد ،القاهرة ١٩٩٧م.

[٧٢] مكي، الطاهر :الأندلس تاريخ "أسمه وتطوره"، مجلة الثقافة، العدد ٢٢ ، القاهرة ، يوليو ١٩٥٧م

[٧٣] مؤنس، حسين: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد ١٩٦٧م.

[٧٤] نايف ، عمايرة ، محمد: مراحل سقوط الثغور الأندلسية في يد الإسبان ،ب ن، ١٩٩٩م.

[٧٥] النشار، محمد محمود: دراسات في تاريخ الحروب الصليبية في الأندلس، القاهرة ٢٠٠٣م.

[٧٦] محمد النشار : البابوية وفرنسا على مسرح الحروب الصليبية في الأندلس من مجلة اتحاذ المؤرخين العرب ١٩٩٦م ندوة الإطار التاريخي للحركة الصليبية ، ص٣ . ولمزيد من التفاصيل أنظر : البلاذري : فتوح البلدان ، تحقيق : عبد الله أنيس الطباع و عمر أنيس الطباع ، بيروت ١٩٨٧م ، ص٣٢٣ ؛ حسين مؤنس: بفجر الأندلس ، القاهرة ١٩٥٩م ، ص٣١٠

رابعاً: المراجع الأجنبية:

[77] Chapman ، C.E. ، Ahistory of Spain ، (New York ، 1966) ، p.55.

[78] Crow ، J ، A. ، Spain:The Root and Flower ، (U.S.A ، 1985). -

[79]- Levi Provencel ، Zaida La Mora Femme d Alfonso VI LInfant D.Sancho ، Hisperis ، XVIII ، (1934) ،

[80] Vidal ، S.S ، Hispaña Historia Politica Cultural de Espana ، Barcelona ، 1979 – ،

[81]-Wilcox ، p. ، Rome`s Enemies :Germanics and Docians ، ed.by Martin Windrow ، (London ، Osprey Publishing ، 1982).

[82] - Martin: J . L : Lapeninsula en la Edad Media , Varcelona 1978 , p . 229

[83] Cuesta ، C.F. ، Diccionaria de historia de España ، ed.Alianza

[84] (Madrid ، 2005) ، p.453.

The image of the Spanish Frankish in the book of Al Bayan Al Moghrib

Preparation
Eman Mohammed AlMudara

Assistant professor in Middle Ages history Department of History
College of arts /Imam Abdulrahman Bin Faisal University

Abstract: Despite the great number of historical studies aiming to highlight aspects of Muslims' history in the Spanish Peninsula، and their contribution to civilization، the Islamic civilization played an important and glorious role in the Spanish middle ages history. However، a lot of ambiguity is still surrounding some aspects of this era. This includes the reports on events in relation with the Frankish Spanish especially if we tried to get some knowledge about them in one of the available Islamic sources dealing with that period.

Therefore، the researcher chose one of the most important Arab-Islamic sources: "Al Bayan Al Moghrib in the News of Andalusia and Al Maghrib". The book was written by the historian Ibn Adhara Al Marakhshi who tried to depict the image of the Frankish Spanish. This book was selected due to its particular importance among similar sources. In fact، some sources have been lost. For this reason، the research aims to highlight Ibn Adhara's contribution with the valuable information he provides on the Spanish Frankish in his his book Al-Bayan. This comprises political information، cultural features related to lifestyle and traditions of the Spanish Frankish community، which gives the study more importance and enable us to get a clear image of the Frankish Spanish.

The researcher began drawing the image of the Spanish Frankish and discusses the status and role of women in the Spanish Frankish society. In addition، she describes some aspects of the ethics of the Spanish Frankish، and how the harsh nature was reflected in the morals of the Spanish Frankish. Furthermore، she provides many references about the characteristics of the Spanish Francophone warrior، the ways of fighting، the military fortifications built by the Spanish Frankish، and even the system of government within one of the Frankish kingdoms of Spain.

The author did not neglect to talk about the Spanish industry or the agricultural activity in the Spanish Frankish community despite the atmosphere of war and fighting surrounding everyone in that period. He wrote many details about the Spanish rulers such as Alfonso VI and Alfonso VIII and many others with a focus on their role in the movement of recovery. To get the best picture of the Spanish Frankish، Ibn Adhara has been involved in the transfer of one of the most important legends that spread in the Middle Ages and the excess of Andalusia Zaida La Mora or Caida is an important signal as mixed marriages were the most prominent means of cultural communication between Muslims and the rulers of the Frankish Christian kingdoms in Andalusia. Ibn Adhara managed at the end to make us feel as if he is a historian who witnessed the events personally.